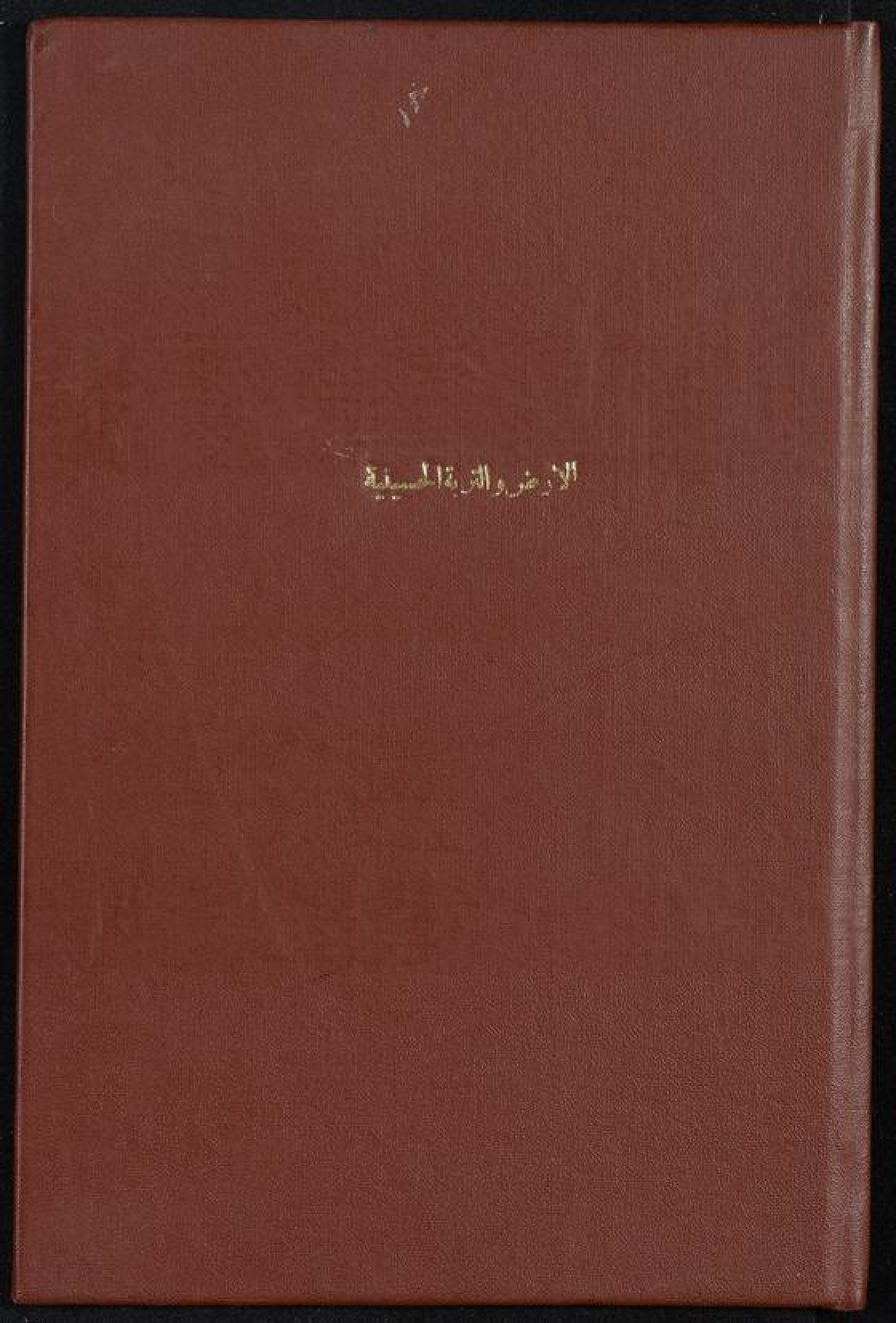
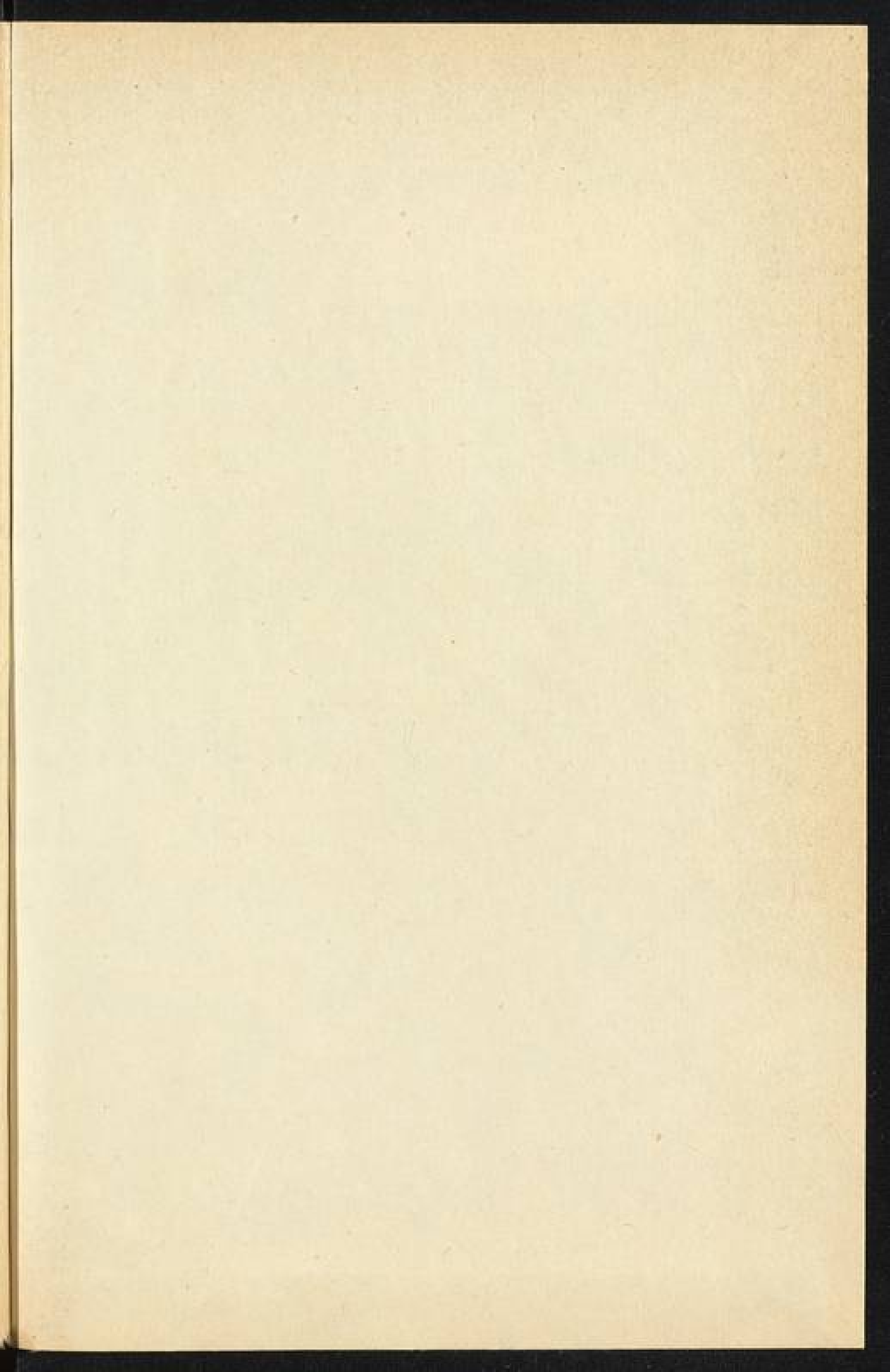

الأرض والتربة الحسينية


CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
JOHN M.
OLIN
LIBRARY
ITHACA, N.Y.





الارض والتربة الحسينية

تأليف

آية الله الامام

محمد الحسين آل كاشف الغطاء

طاب ثراه

الطبعة الرابعة

١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م

المطبعة الحيدرية - النجف

سماحة الامام الحجة الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء



اضيء ظلمة الدنيا بعلمك مثلما   أضاء على الدنيا بطلعته البدر

رأيتك لم يعقد على الارض مجلس   لاهل النهى إلا وكان لك الصدر

تقدمة

ورد على سماحة مولانا الامام كاشف الغطاء رسالة فى اول رجب سنة ١٣٦٥ هجـ ، من الفاضل المهذب احمد بدران (مترجم مديرية الميناء فى البصرة) يذكر فيها ان جماعة من المستشرقين الانكليز مشغولون بتأليف دائرة معارف يضمونها شتى المعلومات والمعارف ، وانه كاف من قبل من اتصلوا به أن يبحث لهم عن مصدر يزودهم بالمعلومات الكافية عن تاريخ التربة الحسينية وكيف نشأت من بعد مقتل الحسين عليه السلام . وهل كان لها تاريخ من قبل؟ وما الى ذلك من المعلومات التى تخص هذا الموضوع ليقوم بترجمته الى اللغة الانكليزية فيكون مصدراً شافياً عن موضوع هذه التربة بعد ان يدرجها المستشرقون فى دائرة معارفهم الجديدة ، وهذا نص الرسالة :

الرسالة الاولى :

سماحة حجة الاسلام الاكبر آية الله الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء دام ظله آمين .

بعد ان الثم هاتيك الانامل الشريفة التى اقر بالرق كتاب الانام لها وأتبرك بالدعاء لتلك الطلعة الغراء التى انجاب بها عن سماء الاسلام الظلم والظلم .

اعرض لسماحتكم ان احد المستشرقين من علماء الافرنج قد اخذ على عاتقه تأليف دائرة معارف كبرى يضمنها المنقول والمعقول ، وقد اراد

ان يلم بتاريخ التربة الحسينية الماما واسعاً بحيث يكون مرجعاً للتاريخ فى المستقبل فهو يريد ان يعرف السبب الحقيقى فى نشأتها ، وكيف انها وجدت بعد عهد الحسين عليه السلام وهى لم تكن قبله ولا فى عهده ومن اول من صلى عليها من المسلمين ؟ وخلاصة الامر انه يريد تاريخها حقيقياً شاملا لجميع نواحى هذه التربة الحسينية لدرجه فى دائرة المعارف الانكليزية طلب هذا العالم الى احد موظفى الميناء ان يزوده بهذا التاريخ وهذا الموظف كلفنى بدوره ان اتقصى ذلك وما كان منى إلا ان يممت العالم الجليل السيد عباس شبر وبعد ان عرضت المسألة عليه رأى من الاجدر ان تعرض على سماحتكم علما منه بأنكم خير من يقصد للاستفسار فى مثل هذه المسائل وعلى هذا فانى اضرع لسماحتكم ان تتكرموا بارسال تاريخ مفصل عن هذه التربة الحسينية بوساطة العالم الجليل السيد عباس شبر فى البصرة لكى نتمكن من ترجمته وإرساله الى العالم الانجليزى .

وغير خفى على سماحتكم ان فى ذلك إظهاراً للحق وإزالة للباطل ودفعاً للشبهة والشك والظن والتقول وان الكتاب الذى سيؤلفه هذا العالم سوف تطالعه ملايين من البشر وسيعرفون حقيقة هذه التربة وسيضربون عرض الحائط ما علق بأذهانهم عنها حتى الآن .

هذا وختاما تكرموا ياصاحب السماحة بقبول فائق شكرى واحترامى واخلاصى وتحيات العالم الجليل السيد عباس شبر ودمتم ذخراً وركنا للمسلمين جميعاً

خادمكم المخلص

احمد بدران

مترجم مديرية الميناء

ثم كتب فضيلة السيد عباس شبر الحسيني كتابا ورد الى الا مام اوضح فيه حضرته ان الاديب الفاضل صاحب الرسالة المذكور من قبل هذا وقد راجعه فى هذا الامر وطلب اليه ان يهديه الى المرجع الثقة فى هذا الموضوع فأشار عليه بذلك ، ثم استعجل سماحة الامام بانجاز هذا البحث الذى سيكون مرجعاً وثيقاً ينهل منه طالبوا الحقيقة وهذا نص الرسالة :

° ° °

الرسالة الثانية :

صاحب السماحة الامام آية الله العلامة الاكبر الشيخ محمد الحسين دام ظله .

سلام الله الأسنى وتحاياه الزاكيات الحسنى على مولانا ورحمة الله وبركاته .

المعروض على خاطركم الكريم ، انه سبق منذ مدة قد تكون طويلة ان الأديب اللامع احمد بدران وهو من شبابنا المثقف النبيل الغيور على دينه وامته ، ووظيفته الترجمة فى دائرة ميناء البصرة اخبرنى ان مستشرقا كبيراً انجليزياً قد عزم على المساهمة فى الكتابة بموسوعة (دائرة المعاف الانجليزية الجديدة) وقد اختار ان تكون كتابته فى موضوع التربة الحسينية وتاريخها عند الشيعة الامامية ولأجل الحصول على المعلومات الكافية راجع دائرة ميناء البصرة يطلب منها ان تأخذ له المعلومات الصحيحة عن احد علماء الشيعة وكانت هذه الدائرة فى الوقت قد راجعت بعض المعممين فكتب فى الجواب مالا يسمن ولا يغنى فلم يرنح هـذا

الشاب النبيل للجواب عندما عوض عليه للترجمة وطلب من رئيس الادارة ان يراجع فى الأمر غير هذا الكاتب بالنظر لأهمية الموضوع فاجيب طلبه فعرض ما كتب جوابا على ليتعرف رأيى فأشرت عليه بأن يراجع سماحتكم وقلت له لا يجوز فيما ارى لغير قلم مولانا كاشف الغطاء ان يتناول هذا الموضوع الذى يخص ستين مليوناً من المسلمين وعليه فقد استمهل الادارة وكتب لسماحتكم وقد اخبرنى انه طلب ان يكون ارسال الجواب اليه بواسطتى وهو لا يزال يسألنى عن وصول الجواب لأن الأدارة تلح عليه بالتعجيل فالرجاء ان تتفضلوا بتحرير ما ترونه مناسباً فى مثل هذا المقام مجملا ومفصلا وبالختام تقبلو فائق الاحترام والسلام .

من المخلص

عباس شبر الحسينى

وكان سماحة الامام قد بدأ فى تأليف رسالة وافية فى هذا الموضوع ، لما رأى فى ذلك من انارة أفكار القراء الأجانب ولفت نظرهم الى موضوع خطير من مواضيع مذهب الامامية الاثنى عشرية الذى يعد سماحته العلم الأكبر بين أعلامه ، بما فى ذلك من رفع الجهل أو التجاهل بحقائق مذهب الطائفة النبيلة الذى ظهرت آثاره فى التاريخ الخاص منها والعام نتيجة لسوء البحث او لسوء النية وبعد ان بعث سماحته بهذه الرسالة عند انجازها الى فضيلة السيد عباس شبر جاء منه الكتاب التالى :

الرسالة الثالثة :

سماحة العلامة الأكبر آية الله الشيخ محمد الحسين دام ظله العالى

السلام على مولانا ورحمة الله وبركاته وتحياته الصالحات المباركات

والابتهال الى الله سبحانه من صميم القلب ان يمتعنا والعالم الاسلامى اجمع بدوام ظلكم على مدى الأيام :

بقيت بقاء الدهر ياغوث اهله   وذاك دعاء للبرية شامل

تشرفت الساعة برسالتكم العزيزة فى البريد المسجل وتلوتها بكل اعجاب واكبار شاكراً داعياً لسماحتكم وسأجتمع فى اقرب فرصة ان شاء الله بأحمد بدران وأوكد عليه بالاهتمام التام فى ترجمة هذه النفحه القدسية والعبقة السماوية التى خص بها يراعكم المجاهد اليراع الذى اختاره الله سبحانه لنصرة دينه وارشاد عباده فكان آية من آياته :

يراع يراع به الجاحدون   ويرعى به المؤمن المتق

حسام جراز غداة الكفاح   وفى السلم كالغصن المورق

تخيره الله للمعضلات   وفتح مقفلهـــا المغلق

فأصبح فى عصرنا المستنير   معجزة الدين والمنطق

وبعد فما عسانى أن أقول فى نعت هذا اليراع الكريم الملهم ووصف رشحاته التى يقصر دون اطرائها البيان وان (هذه من علاه احدى المعالى وما عسى أن يقال فى وصف صحاح الجوهر (استغفر الله ماقيمة الجوهر) الى جانب هذه السموط الفردوسية وهى (من جوهر اللطف لامن جوهر التراب) فأقترح على الاستاذ احمد بدران عرضها بعد ترجمتها على لجنة من شبابنا المتأدب باللغتين العربية والانجليزية لاخراج الترجمة تخريجا عالياً كما تحبون ونحب ان شاء الله وسوف نرسل لسماحتكم نسخة من الأصل ونسخة من الترجمة ، تشرفت قبل رسالتكم هذه بكتابين من سماحتكم كان ثانيهما جوابا لكتابى الذى ارسلته اليكم وقد كان لى شبه

عزم على زيارة منتصف شعبان فأملت أن أكون أنا جواب الجواب ذلك ما أخرني عن الاجابة بوقته وكان كتابي اليكم قبل تشرفي بكتابكم الأول وبالختام تقبلوا فائق الثناء والاحترام والسلام .

من المخلص
عباس شبر الحسيني

ثم تلاه الكتاب الرابع من فضيلة السيد عباس شبر ايضاً وهذا نصه :

* * *

الرسالة الرابعة :

سماحة العلامة الاكبر ملاذ الاسلام ومرجع المسلمين آية الله الشيخ محمد الحسين دام ظله :

بك ازدانت الاعياد وافتر ثغرها ... وعمت كما عمت مآثرك الخلقا
فغرد في روض السرور هزارها ... يهنى بك الاسلام والدين والشرقا

بعد السلام على مولاي ورحمة الله وبركاته وتقديم اجمل التهاني وأزكاها وأطيب التمنيات وأعلاها بمناسبة هذا العيد السعيد والابتهال الى الله سبحانه ان يجعل ايامنا كلها بوجود مولانا اعياداً تتجدد بالخير والمسرة والبركات .

غرد طير البشر لما بدا ... هلال شوال بافق السعود
فاسلم ودم ظلا لنا شاملا ... وافطر بعيد الفطر قلب الحسود

سبق ان ارسلت لمولاي رسالة عرفته فيها بوصول رسالته الثمينة في التربة الحسينية وقد دفعتها الاحمد بدران ليستنسخها ويترجمها ولأعرض الترجمة على لجنة اختارها ممن يجيد اللغتين وأرسل الاصل العربي ونسخة

من الترجمة لسماحتكم وقد اجتمعت بابن بدران فى شهر رمضان مرتين والححت عليه بالاسراع فى انجاز الترجمة فوعد خيراً ولكنه اخبرنى اليوم بأنه لم يكمل الترجمة بعدلطارىء صحى وانه سيكملها فى القريب العاجل فطلبت منه أن يدفع لى الاصل العربى أو نسخة منه لارسالها مقدما لسماحتكم لتطبع وأخبرته بالكتاب الذى تناولته بالامس من الاستاذ الشيخ عبد الغنى الخضرى فى ذلك فأخبرنى ان الاصل والصور التى استنسخها بالآلة الطابعة فى دائرة الميناء وسيجىء إلى بنسخة بعد عطلة العيد بلا تأخير وسأتسلمها منه وأرسلها اليكم على الفور ان شاء الله ثم ارسل نسخة من الترجمة بعد اكمالها وتمحيصها بأنظار اللجنة التى اختارها للنظر فى مطابقتها للاصل وختاما تفضلوا بقبول فائق التهانى والاحترام والسلام .

من المخلص الصميم

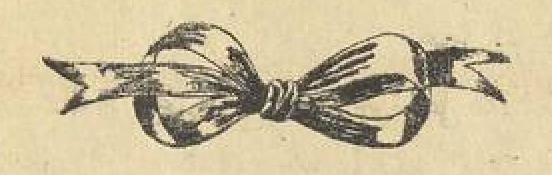
عباس شبر الحسينى

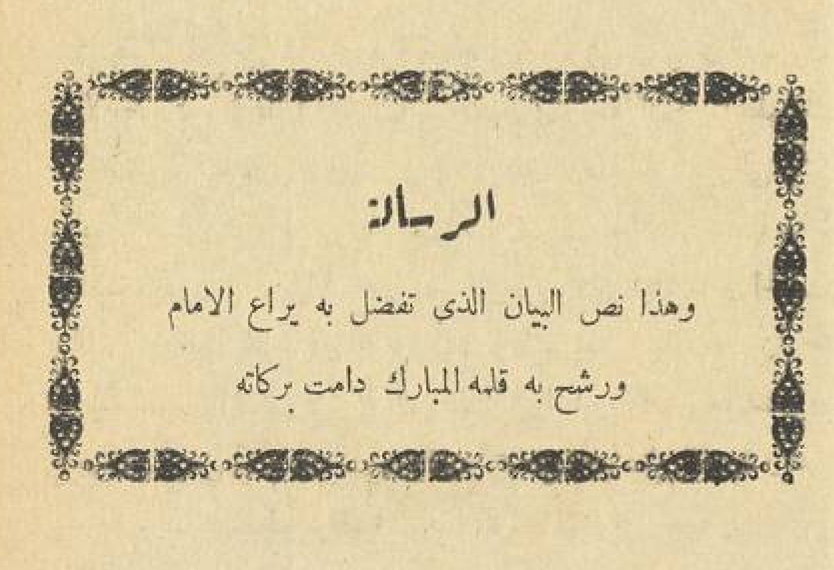
وهذه الرسالة التى دبجتها يراع الامام جوابا على ذلك الطلب انما هى ، حقا ، بحث واف فى موضوع خطير لم يسبق ان اهتم به احد من الاعلام . امالعجز يعذر معه اولتعاجز ازاء خدمة هذه الطائفة وابلاغ حقائق مذهبها الى العالمين ؛ اما سماحة الامام فهو الرجل الذى لم يتوان جهده فى اغتنام الفرص والعمل المجيد حيال الواجب الدينى المقدس الذى لم يشأ احد من أئمة المذهب ليوقف شيئاً من جهده لتدعيم مظاهره وبث حقائقه إلا الصفوة القليلة من رجال العلم والفضيلة وحملة نور الايمان ممن يعد سماحة الامام مولانا الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

على رأسهم وفى مقدمتهم ؛ فهى بحث طريف فى موضوع بكر لم يسبقه اليه سابق ولا يستطيعه لاحق وقد توسع فيه الى البحث عن مطلق الارض وخيراتها وأركانها وقدسيتها بنحو بديع ، دينى ، ادبى ، تاريخى ، ثم تخلص منه الى التربة الحسينية .

وحيثما يضع سماحة هذا الامام الفذ قلمه يأت بالمعجز والمدهش كما تشهد لذلك عامة مؤلفاته التى أنافت على الثمانين وستكون لهذه الرسالة السامية نتائج معنوية كبرى هى اهل بمقام الامام وجهاده .

حسين محمد الطيب





الرسالة

وهذا نص البيان الذى تفضل به يراع الامام

ورشح به قلمه المبارك دامت بركاته



يقول الله جل شأنه فى فرقانه المجيد (وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) . حقاً ان من اعظم تلك الآيات التى نمر عليها فى كل وقت وعلى كل حال هى هذه الارض التى نعيش عليها ونعيش منها ونعيش بها ، منها بدؤنا واليها معادنا . (منها بدأكم واليها تعودون) لا نزال نمشى على الأرض ونثير ترابها فى الحرث والنسل ونقلبها للغرس والزرع ونتقلب عليها للضرع والمرع ونزاولها فى عامة شئون الحياة ولا تزال تدر علينا بخيراتها وبركاتها ونحن ساهون لاهون ، وعن آياتها معرضون غافلون عما فيها من عظيم القدرة وباهر الصنعة ودلائل العظمة والقوة ، هذا التراب الذى قد نعده من احقر الاشياء وأهونها والذى هو فى رأى العين شىء واحد وعنصر فرد كم يحتوى على عناصر لاتحصى وخواص لاتتناهى تنثر فيه حب القمح مثلا فيعطيك اضعافا من نوعه وتنثر فيه الفول والعدس وأمثالهما من القطانيات المختلفة فى الطعوم والخواص فتعيدها اليك مضاعفة مترادفة وتغرس فى نفس ذلك التراب نواة النخل وبذرة الكرم وأقلام التين والتفاح وامثالها من الفواكه فتثمر تلك الثمار الشهية المختلفة الأذواق المتغايرة الخواص .

التراب يخرج لك البطيخ بأنواعه : أصفره وأحمره وأبيضه بتلك الروائح الطبيعية العطرة وكله حلو منعش ويخرج لك الحنظل وكله مر مهلك ، كل هذا والشكل متشابه والخضرة متماثلة والماء واحد والتربة واحدة ، كما فى القرآن (يسق بما واحد) والماء ماء ولما يستوى الشجر التراب واحد والمستق واحد والثمرات والنتائج مختلفة ؛ فمن اين جاء هذا الاختلاف العظيم أليست كلها عناصر فى الارض يأخذ كل واحد من تلك البذور ما يلائمه من تلك العناصر الكامنة فى التراب المكونة لتلك الثمرة والانواع المختلفة لايختلط واحد بالآخر ولا يشتبه نوع بنوع ، كل ذلك على نظام متسق ووزن متفق وعيار معين كل فاكهة فى فصلها وموسمها ، فربيعية لاتدرك فى الخريف وخريفية لاتنضج فى الصيف وصيفية لاتوجدفى الشتاء وأعظم منهذا أثراً وعبراً ماتخرجه الارض من المعادن انظر الى هذه المعادن الثمينة والاحجار الكريمة من الذهب والفضة والياقوت والفيرزج ونظائرها هل هى إلا من للتراب ومن ثمرات الارض ، بل ذكر لى بعض المولعين بالصنعة القديمة (علم الكيمياء) ان الاكسير الاعظم الذى يتطلبه اهل هذا الفن وبه يحولون الفلزات من واحد لآخر حتى ينتهى الى الذهب هو أيضا من التراب ، ولقد أبدع العارف الربانى الشيخ محمود الشبستري فى رسالته المنظومة الموسومة (كلشن راز) حيث يقول فيها .

شعاع آفتاب ازجرم أفلاك نكردد منعكس جز بر سرخاك
توبودى عكس معبود ملائك ازآن كشته تومسجود ملائك

وملخص ترجمته : انالشمس وهىفىالفلك الرابع (علىالهيئةالقديمة)

لا ينعكس شعاعها إلا على التراب ولولا التراب لماكان لاشعة الشمس فائدة واثر. ثم يقول انعكست فيك صفات معبود للملائك ايها الانسان لهذا صرت محل سجود الملائكة، نعم نعود الى الارض فنقول والارض هى ام المواليد الثلاثة : الجماد، والنبات، والحيوان، وتحوطها العناية بالروافد الثلاثة : الماء، والهواء والشمس فهى الحياة وهى الممات وفيها الداء ومنها الدواء وقد تحصى نجوم السماء اما نجوم الارض فلا تحصى.

نعم لاتحصى نجوم الارض ولامعادن الارض ولاعناصر الارض ولا تزال الشريعة الاسلامية قرآنها وحديثها يعظم شأن الارض وينوه عنها صراحة وتلميحا فيقول: (ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا) (والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها) (فلينظر الانسان الى طعامه إنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وابا).

دع عنك ماتخرجه الارض من نبات واشجار وحبوب وثمار ومعادن واحجار ؛ ولكن هلم الى هذا الانسان ذى العقل الجبار الذى سخر الاثير والبخار والكهرباء والذرة فهل يكون إلا من التراب وهل عناصره واجزاؤه التى التأم جسمه منها إلا من التراب وهل يتلاشى ويعود إلا الى التراب .

ولعل من أجل شرف التراب وقداسته وعظيم خيراته وبركاته كنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصيه واحب الخلق اليه عليا «ع» بأبى تراب وكانت أحب الكنى الى امير المؤمنين «ع» ومنها قد استخرج عبد الباقى العمرى معنى شعريا عرفانيا حيث قال :

خلق الله آدما من تراب   فهو ابن له وأنت أبوه

ولعل من هنا ايضا ينكشف سر تقبيل الارض بين يدى الملوك تعظيما لهم يعنى قدس الارض التى أنشأتك ومنها تكونت وقال الحكيم العارف (الخيام) فى بعض رباعياته :

اى خاك اگر سينه تو بشكافند   بس گوهر قيمتى است در سينه تو

وترجمته : أيها التراب لو يشقون عن قلبك وينظرون الى باطنك لوجدوا فيه الكثير من الجواهر الكريمة ذوات القيمة العظيمة ؛ وأبدع من هذا قول بعض اكابر العرفاء الشامخين فى (ترجيع بند) له فيه بدائع الاسرار والحكم يقول فيه :

دل هر ذره كه بشكافى   آفتابيش در ميان بينى

وترجمته : قلب كل ذرة اذا شققته ونظرت فيه تجد شمسا منيرة فيه وقد حاول بعض الرجال البارزين من المصريين ممن له المام بالادب الفارسى ان يجعل هذا النظم اشارة الى الذرة التى هى من مخترعات هذه العصور اما هذا العاجز فلا شك انه اراد هذه الذرة التى ملأت الاجزاء ومنها تكونت الاشياء واراد بالشمس تلك الشمس التى اشرقت منها الشموس والاقمار فعميت عن ادراكها البصائر والابصار .

نعم فهذه الارض المباركة ذات الآيات الباهرة ألا تستحق التكريم والتعظيم والتعزيز والتقديس وفى الاحاديث النبوية ايضا اشارة الى ذلك حيث يقول (ص) (تمسحوا بالارض فانها برة بكم) وفى آخر (انها امكم الحنون واكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من فاضل طينة ابيكم آدم) وهذه كلها رموز واشارات لاتخفى مغازيها على اللبيب ، إذاً فلا يتبين من

هذا سر أمر البارى جل شأنه للملائكة جميعا ان يسجدوا لآدم الذى خلقه من تراب وانشأه من الارض واودع فيه جميع خواصها وعناصرها وفيه انطوى العالم الاكبر ، وقد حدثتنا الكتب السماوية عن السجود لآدم بأساليبها المختلفة فليسجدوا لآدم عبادة لله وتقديسا وتكريما للارض ذات الخيرات والبركات والمحيا والممات ومنه تعرف ايضا سر امتناع ابليس المخلوق من النار عن السجود للارض ، والعداء والنفرة طبيعى بين النار والارض .

الارض مجمعة والنار مفرقة والجمع قوة والفرقة ضعف ، الارض باردة معتدلة والنار محرقة مشتعلة ، الارض نمو وزيادة والنار إفناء وإبادة ؛ الارض يعيش بها كل حى والنار يهلك بها كل حى ؛ إذاً فليسجد الملائكة لآدم وليسجد أبناؤه لله على الارض فانها امهم البرة الحنون .

ومن سمو الارض على النار وشرفها الذى اشرنا الى طرف منه ومن بعض نواحيه يتضح لك ايضا اندفاع مغالطة الشاعر القديم بشار بن برد فى انتصاره لابليس فى تفضيل النار على الارض بقوله من أبيات :

الارض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار

وهذه الحجة الواهية تستند الى دعامتين ساقطتين ؛ الاولى : ان الارض مظلمة ومما تلوناه عليك من منافع الارض وبركاتها تعرف ان الارض هى المشرقة والنار هى المظلمة ، الارض حياة والحياة هى النور والنار لاحياة فيها بل تنعدم بها الحياة وعدم الحياة ظلمة ، الارض ام الحياة والنار ام الموت وأين الحياة من الموت ، وكفى بالنار ان الله جعلها عقابا ومآبا للعاصين ، وكفى بالارض ان جعلها جنة عدن للمتقين .

الثانية : ان النار معبودة مذكانت النار. وهذه أسقط من سابقتها فان النار لم يعبدها من الامم إلا المجوس حتى قيل :

مثل المجوسى فى ظلالته تحرقه النار وهو يعبدها

واما الأرض فلم تزل معبودة على اوليات الدهر بأصنامها وأوثانها وهياكلها ونواديها والجميع من الارض ولا تزال أكثر الامم وثنية الى اليوم وحيث تجلى شرف الارض وقداستها ، اذن فليسجد الملائكة الذين ليسوا هم من الارض لآدم وليد الارض ولا يجوز السجود فى شريعة الاسلام بسجود عبادة إلالله وإلا على الارض اونبات الارض ومن اجل مافى الارض من المواد المعقمة والعناصر المنقية جعلها الشارع فى الاسلام مطهرة من الحدث تارة أى القذارة المعنوية التى لا يزيلها إلا الماء فاذا لم يوجد الماء اولم يمكن استعماله (فان لم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً) اقصدوا ترابا خالصا نظيفا طيبا فامسحوا فيه الجبين الذى هو واليدان احوج الأعضاء الى النظافة واماطة الغبار والأكدار عنها لمزاولة اليد للاعمال ومباشرتها للاجسام المختلفة فى الاسناخ والاوساخ فالتراب يقوم مقام الماء ، التراب اخو الماء والارض اخته ، ومطهرة من الخبث اخرى حتى مع التمكن من الماء فتطهر باطن الحذاء والقدم وكثيراً من امثالها كأسفل العصا ونحوها فلو تنجس باطن القدم أو الحذاء ومشيت على الارض خطوات وزالت العين طهرت القدم ولا حاجة الى تطهيرها بالماء فالارض مسجد والارض طهور واليه قصد الحديث النبوى المشهور (جعلت لى الارض مسجداً وطهورا) اى اينما أدركتنى الصلوة سجدت وصليت ومتى اعوزنى الماء بها تطهرت فهى طاهرة ومطهرة ، نعم وهى

مطهرة بما هو أوسع وأدق وأعمق معانى التطهير فان فيها المواد المعقمة والعناصر المهلكة لجميع جراثيم الاوبئة والامراض ومن أجل هذه الصفة والخصوصية فى الارض أوجبت الشرائع السماوية وبالاخص شريعة الاسلام دفن الاموات فيها ولا يجوز دفن الميت فى غيرها وان يوضع خده على الارض ولايجوز حتى القاؤه فى البحر مع التمكن من دفنه بالارض بل ولا إحراقه بالنار مع ان المتبادر بادىء النظر انه ابلغ فى قمع جراثيم الاموات المضرة بالإحياء. كما يصنعه البراهمة الذين يحرقون أمواتهم ، ولكن أليس من الجائز القريب أن يكون جثمان الانسان يحمل اوتحمل فيه عن مفارقته الحياة مواد من ناشرات الاوبئة التى لو أحست بحرارة النار تطايرت فى الفضاء قبل أن تحترق فتأخذ مفعولها فى نشر الامراض وتلويث الهواء وكذا لو القيت فى البحار او الانهار تنموا وتشتد بخلاف مالو دفنت فى التراب ولعل فيه مواد من خاصيتها تلف تلك الجراثيم مختلفة الانواع التى لو انتشرت لأهلكت كل حي حتى النبات وقد أيد العلم الحديث هذه النظرية حيث اكتشف بعض علماء الغرب حسبما نقل ان فى التراب مادة تقتل مكروب كل مرض من الأمراض كالسل والتيفو والملاريا وغيرهما ولولا تلك المادة المعقمة فى التراب لأنتشر من جسد كل ميت انواع من الامراض تقضى بالفناء على كل الاحياء او لعل اليه الاشارة بقوله تعالى : (ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا) فقد ذكر اللغويون ان معانى الكفت الجمع والضم والاماتة ، يقال كفته الله أى اماته فيكون المعنى المشار اليه فى الآية ان الارض تجمع وتضم الاحياء ثم تجمع جراثيمها بعد الموت وتميتها

فان تمت هذه الاستفادة فهي احدى معجزات القرآن وهل ترى ان قدماء الفلاسفة ومتأخريهم من اليونان والهند والفرس وغيرهم فيما استخرجوه من خواص الارض ومعادنها وحيوانها قد أحصوا كل ما أودعه الصانع الحكيم فيها من الكنوز والرموز والخزائن والدفائن ، كلا ولا عشر معشار منها ولعل نسبة ما وصلوا اليه مما تمنع عليهم نسبة الذرة من الفضاء والقطرة من الدماء ولا يزال العلم والبحث يأتي بالعجائب ولا ينهي حتى تنتهي الدنيا ولن تنتهي .

وانما الغرض الاشارة الى ان هذه الارض هي من أعظم آيات الله الباهرة نمر عليها ليلا ونهاراً ونحن عنها معرضون ولو عرفنا اليسير من منافعها وطبائعها لتجلى لنا انها الام الحنون البارة بنا التي ولدتنا وارضعتنا من اخلاف نعمها وخيراتها وما هذا البشر إلا غرس من غرسها وشجرة نامية من اشجارها اولدتنا على ظهرها وغذتنا من منتوجاتها وتردنا الى احشائها وفي الحديث النبوي (ان الارض برة بكم تيممون منها وتصلون عليها في الحياة وهي لكم كفات في الممات وذلك نعمة من الله وله الحمد وأفضل ما يسجد المصلي عليه التربة النقية .

وقد نوه عن بعض تلك المزايا الشاعر الحكيم العربي القديم الذي ادرك اول بزوغ شمس الاسلام ولم يسلم لانه كان قد رشح نفسه للنبوة ولم تساعده العناية وتخطته الى من هو احق بها واجدر ذلك امية بن ابي الصلت وكان ينظم المطولات الرنانة في السماء والعالم والمبدأ والمعاد والقبر والبرزخ والحشر والنشر والافلاك والاملاك في بعض مطولاته يقول عن الارض :

الارض معقلنا وكانت امنا فيها مقابرنا ومنها نولد

وفى اخرى :

هى القرار فما نبغى بها بدلا ما ارحم الارض إلا اننا كفر

منها خلقنا وكانت امنا خلقت ونحن ابناؤها لو اننا شكر

ومن الايام الزكية فى شريعة الاسلام هو يوم (دحو الارض) وهو اليوم الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة الحرام وهو من ايام الصيام وفيه دحى الله الارض من تحت الكعبة اى بسطها ومدها وفيه دعاء جليل اوله : اللهم داحى الكعبة وفالق الحبة وكاشف الكربة اسألك بهذا اليوم من أيامك التى عظمت حقها وقدمت سبقها وجعلتها عند المؤمنين وديعة اليك ذريعة الى آخر الدعاء واليه الاشارة بقوله تعالى (والارض بعد ذلك دحاها) .

نعود فنقول أليست هذه الارض حرية إذاً بالتقديس والكرامة والاجلال والعظمة وان نسجد عبودية لله على النظيف منها تكريما لها وشكراً لعظيم نعمته تعالى علينا بها وتنشيطا للحركة الفكرية للانتقال من عظمتها الى عظمة خالقها والتفاتا الى انها مع عجز القول والأفكار والأيدى العاملة فى تحليل جميع عناصرها واستخراج كل جواهرها اليست هى بالنسبة الى سائر الكرات والكواكب والانظمة الشمسية التى احصى منها الملايين وما احصى إلا اليسير منها ما هى إلا ذرة تسبح فى بحر هذا الفضاء غير المتناهى فما أعظم الخالق وما ادهش قدرته وعظمته وابدع صنائعه وخليفته

وكل ما ذكرنا من فضل هذه الكرة السابحة فى بحر هذا الكون الذى لا ساحل له وهى الارض معلوم واضح كما ان من المعلوم الواضح ان

هذه الأرض مع وحدتها وتساوى بقاعها واجزائها ظاهراً ولكنها فى الامتحان وفى ظاهر العيان ايضاً مختلفة اشد الاختلاف فى البقاع والطباع والأوضاع ففيها الطيبة والخبيثة والحلوة والمالحة والسبخة والمرة واليه الاشارة بقوله تعالى (وفى الأرض قطع متجاورات) وهذا الاختلاف شىء محسوس فقد يلقى الحارث فى أرض قبضة قمح فيعود عليه ريعها باضعاف البذر سبعين مرة وقد يلقيه فى اخرى فيخيس ويحترق ولا يحصل حتى على البذر ولاشك ان الطيب النافع هو الحرى بالكرامة والتقديس ولا يبعد أن تكون تربة العراق على الاجمال من أطيب بقاع الأرض فى دماثة طينتها وسعة سهولها وكثرة اشجارها ونخيلها وجريان الرافدين عليها وما يجلبان من الابليز وهو الذهب الابريز واللجين الجارى والياقوت السائل والذهب الأسود ثم لو تحرينا هذه السهول العراقية وجدنا من القريب الى السداد القول ان أسمى تلك البقاع انقاها تربة وأطيبها طينة وأذكاها نفحة هى تربة كربلاء تلك التربة الحمراء الذكية وكانت قبل الاسلام قد اتخذت نواويس ومعابد ومدافن للامم الغابرة كما يشعر به كلام الحسين سلام الله فى احدى خطبه المشهورة حيث يقول :

(وكأنى بأوصالى هذه تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا)

وهذه التربة هى التى يسميها ابو ريحان البيرونى فى كتابه الجليل (الآثار الباقية) التربة المسعودة فى كربلاء نعم وانما يعرف طيب كل شىء بطيب آثاره وكثرة منافعه وغزارة فوائده ويدل على طيب الارض وامتيازها على غيرها طيب ثمارها ورواء أشجارها وقوة ينعها وريعها وقد امتازت تربة كربلاء من حيث المادة والمنفعة بكثرة الفواكه وتنوعها

وجودتها وغزارتهـا حتى انهـا فى الغالب هى التى تمون أكثر حواضر
العراق وبواديه بكثير من الثمار اليانعة التى تختصها ولا توجد فى غيرها
إذاً فليس من صميم الحق والحق الصميم ان تكون أطيب بقعة فى الأرض
مرقداً وضريحاً لأكرم شخصية فى الدهر نعم لم تزل الدنيا يمخض لتلد
أكمل فرد فى الأنسانية وأجمع ذات لأحسن مايمكن من مزايا العبقرية
فى الطبيعة البشرية وأسمى روح ملكوتية فى أصقاع الملكوت وجوامع
الجبروت فولدت نوراً واحداً شطرته نصفين سيد الأنبياء محمداً وسيد
الأوصياء علياً ثم جمعتهاثانياً فكان الحسين بجمع النورين وخلاصة
الجوهرين كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : (حسين منى وأنامن حسين)
ثم عقمت أن تلد لهم الأنداد أبد الآباد واذا كان من حق الأرض السجود
عليها وعدم السجود على غيرها أفليس من الافضل والاحرى أن يكون
السجود على أفضل وأطهر تربة من الأرض ؟ وهى التربة الحسينية وما
ذاك إلا لأنها أكرم مادة وأطهر عنصراً وأصفى جوهراً من سائر البقاع
فكيف وقد انضم شرفها الجوهرى الى طيبها العنصرى ولما تسامت الروح
والمادة وتساوت الحقيقة والصورة صارت هى أشرف بقاع الأرض
بالضرورة كما صرح بذلك بعض الأفاضل من كتاب هذا العصر (١) وشهد

(١) هو العلايلى فى كتابه « سمو المعنى » والعقاد فى « أبو الشهداء »
فى صفحة ١٥٤ .

جاء فيه مانصه : فهى (أى كربلا) اليوم حرم يزوره المسلمين للعبرة
والذكرى ، ويزوره غير المسلمين للنظر والمشاهدة ، ولكنها لو اعطيت
حقها من التنويه والتخليد لحق لها أن تصبح مزاراً لكل آدمى يعرف

ه الكثير من الأخبار والآثار واليه أشار السيد قدس سره فى منظومة
الفقه الشهير ة بالبيت المشهور :

ومن حديث كربلا والكعبة   لكربلا بان علو الرتبة

وقد تلاقفت ذلك الشعراء من زمن الشهادة الى اليوم وتفننوا فى
بيان فضل هذه التربة وقداستها وشرفها واستطالتها على جميع بقاع الارض
بالفضل والشرف ولو جمع كل ماقيل فيها لجاء مجلداً ضخما وفى زيارة
الشهداء مع الحسين سلام الله عليه وعليهم (اشهد لقد طبتم وطابت
الارض التى فيها دفنتم) وقد اتفقت كلمات فقهائنا فى مؤلفاتهم مختصرة
ومطولة على أن السجود لايجوز إلا على الارض او ماينبت منها غير
المأكول والملبوس وأفضله السجود على التربة الحسينية ومن تلك المؤلفات
الجليلة (سفينة النجاة) لأخينا المرجع الاعظم فى عصره الشيخ أحمد
كاشف الغطاء قدس الله سره وقد طبعنا فى العام الماضى جزئه الأول مع
تعليقاتنا عليه وأكملنا بتوفيقه تعالى تعاليق الجزء الثانى وهو جاهز للطبع
وقد علقنا على تلك الفقرة من الكتاب قبل أن يردنا هذا السؤال وتصدى
تحرير هذا الجواب مانصه بحرفه :

(ولعل السر فى التزام الشيعة الأمامية السجود على التربة الحسينية
مضافا الى ماورد فى فضلها من الأخبار ومضافا الى انها أسلم من حيث
النظافة والنزاهة من السجود على سائر الأراضى ومايطرح عليها من الفرش

لبى نوعه نصيباً من القداسة وحظاً من الفضيلة ؛ لاننا لانذكر بقعة من
بقاع هذه الارض يقترن اسمها بجملة من الفضائل والمناقب أسمى والزم
وم الانسان من تلك التى اقترنت باسم كربلا بعد مصرع الحسين فيها .

والبوارى والحصر الملوثة والمملوثة غالباً من الغبار والمكروبات الكامنة فيها مضافا الى كل ذلك لعل من جملة الأغراض العالية والمقاصد السامية ان يتذكر المصلى حين يضع جبهته على تلك التربة تضحية ذلك الأمام نفسه وآل بيته والصفوة من أصحابه فى سبيل العقيدة والمبدأ وتحطم هياكل الجور والفساد والظلم والاستبداد ؛ ولما كان السجود أعظم أركان الصلوة وفى الحديث (أقرب ما يكون العبد الى ربه حال سجوده) مناسب أن يتذكر بوضع جبهته على تللك التربة الزاكية اولئك الذين وضعوا أجسامهم عليها ضحايا للحق وارتفعت أرواحهم الى الملأ الأعلى ليخشع ويخضع ويتلازم الوضع والرفع ويحتقر هذه الدنيا الزائفة وزخارفها الزائلة ولعل هذا هو المقصود من أن للسجود عليها يخرق الحجب السبع كما فى الخبر الآتى ذكره فيكون حينئذ فى السجود سر الصعود والعروج من التراب الى رب الأرباب الى غير ذلك من لطائف الحكم ودقائق الأسرار انتهى) .

فاذا وقفت على بعض ما للارض والتربة الحسينية من المزايا والخواص لم يبق لك عجب واستغراب إذ قيل أن الشفاء قد يحصل من التراب وان تربة الحسين عليه السلام هى تربة الشفاء كما ورد فى كثير من الاخبار والآثار التى تكاد تكون متواترة كتواتر الحوادث والوقائع التى حصل الشفاء فيها لمن استشفى بها من الامراض التى عجز الاطباء عن شفائها أفلا يجوز أن يكون تلك الطينة عناصر كيمياوية تكون بلسما شافياً من جملة من الاقسام قاتلة الميكروبات وقد اتفق علماء الامامية وتضافرت الإخبار بحرمة أكل الطين إلا من تربة قبر الحسين عليه السلام بآداب

مخصوصة وبمقدار معين وهو أن يكون أقل من حمصة وان يكون اخذها من القبر بكيفية خاصة وادعية معينة .

ولا نكران ولا غرابة فتلك وصفة روحية من طبيب رباني يرى بنور الوحي والإلهام ما في طبائع الاشياء ويعرف اسرار الطبيعة وكنوزها الدفينة التي لم تصل اليها عقول البشر بعد، ولعل البحث والتحري والمثابرة سوف يوصل اليها ويكتشف سرها ويحل طلسمها كما اكتشف سر كثير من العناصر ذات الأثر العظيم مما لم تصل اليه معارف الاقدمين ولم يكن يخطر على بال واحد منهم مع تقدمهم وسمو أفكارهم وعظم آثارهم وكم من سر دفين ومنفعة جليلة في موجودات حقيرة وضئيلة لم تزل مجهولة لا تخطر على بال ولا تمر على خيال وكفى (بالبنسلين) وأشباهه شاهداً على ذلك نعم لاتزال اسرار الطبيعة مجهولة الى أن يأذن الله للباحثين بحل رموزها واستخراج كنوزها والامور مرهونة بأوقاتها ولكل كتاب أجل ولكل اجل كتاب ولا يزال العلم في تجدد فلا تبادر الى الأنكار اذا سمعت ان بعض المرضى عجز الاطباء عن علاجهم وحصل لهم الشفاء بقوة روحية واصبع خفية من استعمال التربة الحسينية أو من الدعاء والالتجاء الى القدرة الازلية أو ببركة دعاء بعض الصالحين ، نعم ليس من الحزم البدار الى الانكار فضلا عن السخرية بل اللازم الرجوع في امثال هذه القضايا والحوادث الغريبة الى قاعدة الشيخ الرئيس المشهور (كلما قرع سمعك من غرايب الاكوان فذره في بقعة الامكان حتى يذودك عنه قائم البرهان) هذا بعض ماتيسر للقلم أن ينفث به مترسلا بذكر شيء من مزايا الارض وفلسفة السجود عليها وعلى التربة الحسينية بعد ان اتضح ان الشيعة

يقولون بوجوب السجود عليها وعدم جواز السجود على غيرها من الارض الطاهرة النقية وانما يقولون ان السجود على الارض فريضة وعلى التربة الحسينية سنة وفضيلة ، ومن السخافة اوالعصبية الحمقاء قول بعض من يحمل أسوأ البغض للشيعة ان هذه التربة التى يسجدون عليها صنم يسجدون له ، هذا مع ان الشيعة لايزالون يهتفون ويعلنون فى السنتهم ومؤلفاتهم ان السجود لايجوز إلا لله تعالى وان السجود على التربة سجود له عليها لا سجود لها ولكن اولئك الضعفاء من المسلمين لايحسنون الفرق بين السجود للشيء والسجود على الشيء السجود لله عز شأنه ولكن على الارض المقدسة والتربة الطاهرة وسجود الملائكة كان لله وبأمر من الله تكريماً لآدم ، نعم قد صار السجود على التربة الحسينية من عهد قديم شعاراً شائعاً لهذه الطائفة (الشيعية) يحملون الواحها فى جيوبهم للصلوة عليها ويضعونها فى سجاداتهم ومساجدهم وتجدها منثورة فى مساجدهم ومعابدهم وربما يتخيل بعض عوامهم ان الصلوة لاتصح إلا بالسجود عليها ومنشأ هذا الانتشار ومبدأ تكون هذه العادة والعبادة وكيفية نشوئها ونموها وتعيين اول من صلى عليها من المسلمين ثم شاعت وانتشرت هذا الانتشار الغريب هو ان فى بدء بزوغ شمس الاسلام فى المدينة اعنى فى السنة الثالثة من الهجرة وقعت الحرب الهائلة بين المسلمين وقريش فى (احد) وانهد فيها اعظم ركن للاسلام وأقوى حامية من حماته وهو حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله (ص) واخوه من الرضاعة فعظمت مصيبته على النبى وعلى عموم المسلمين ولا سيما وقد مثلت به بنو امية اعنى به هنداً ام معاوية تلك المثلة الشنيعة فقطعت اعضاءه واستخرجت

كبده فلاكتها ثم لفظتها وامر النبي نساء المسلمين بالنياحة عليه فى كل مأتم واتسع الامر فى تكريمه الى ان صاروا يأخذون من تراب قبره فيتبركون به ويسجدون عليه لله تعالى ويعملون المسبحات منه وتنص بعض المصادر ان فاطمة بنت رسول الله (ص) جرت على ذلك اولعلها اول من ابتدأ بهذا العمل فى حياة ابيها رسول الله (ص) ولعل بعض المسلمين اقتدى بها وكان لقب حمزة يومئذ سيد الشهداء وسماه النبى اسد الله واسد رسوله ويعلق بخاطرى عن بعض المصادر ما نصه تقريباً (حمزة دفن فى احد وكان يسمى سيدالشهداء ويسجدون على تراب قبره ولما قتل الحسين «ع» صار هو سيد الشهداء وصاروا يسجدون على تربته) انتهى .

ويؤيده مافى مزار البحار للمجلسى قدس سره ونصه : عن محمد بن ابراهيم الثقفى عن ابيه عن الصادق جعفر بن محمد قال ان فاطمة بنت رسول الله (ص) كانت سبحتها من خيط صوف مفتل معقود عليه عدد التكبيرات وكانت تديرها بيدها تكبر وتسبح حتى قتل حمزة بن عبد المطلب فاستعملت تربته وعملت منها التسابيح فاستعملهاالناس. فلما قتل الحسين صلوات الله عليه عدل بالامر اليه فاستعملوا تربته لما فيها من الفضل والمزية) انتهى . اما اول من صلى عليها من المسلمين بل من أئمة المسلمين فالذى استفدته من الآثار وتلقيته من حملة اخبار اهل البيت ومهرة الحديث من اساتيذى الاساطين الذين تخرجت عليهم برهة من العمر هو ان زين العابدين على بن الحسين عليهما السلام بعد ان فرغ من دفن ابيه واهل بيته وانصاره اخذ قبضة من التربة التى وضع عليها

الجسد الشريف الذى بضعته السيوف كالحم وضم فشد تلك التربة فى صرة وعمل منها سجادة ومسبحة وهى السبحة التى كان يديرها بيده حين ادخلوه الشام على يزيد فسأله ما هذه التى تديرها بيدك فروى له عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبراً محصله : ان من يحمل السبحة صباحا ويقرأ الدعاء المخصوصة لا يزال يكتب له ثواب التسبيح وان لم لم يسبح ، ولما رجع الامام «ع» هو وأهل بيته الى المدينة صار يتبرك بتلك التربة ويسجد عليها ويعالج بعض مرضى عائلته بها فشاع هذا عند العلويين واتباعهم ومن يقتدى بهم فأول من صلى على هذه التربة واستعملها هو زين العابدين الامام الرابع من أئمة الشيعة الاثنى عشر المعصومين ويشير الى ذلك فى المجلد الحادى عشر من البحار فى احوال الامام المزبور ثم تلاه ولده محمد الباقر الخامس من الأئمة وتأثره فى هذه الدعوة فبالغ فى حث اصحابه عليها ونشر فضلها وبركاتها ثم زاد على ذلك ولده جعفر الصادق «ع» فانه نوه بها لشيعته وكانت الشيعة قد تكاثرت فى عهده وصارت من كبريات طوائف المسلمين وحملة العلم والآثار كما اوعزنا اليه فى رسائلنا (اصل الشيعة)، وقد التزم الامام ولازم السجود عليها بنفسه ففى (مصباح المتجهد) لشيخ الطائفة الشيخ الطوسى قدس الله سره روى بسنده انه كان لابى عبدالله الصادق (ع) خريطة من ديباج صفراء فيها تربة ابى عبدالله الحسين (ع) فكان اذا حضرته الصلوة صبه على سجادته وسجد عليه ثم قال ان السجود على تربة ابى عبد الله عليه السلام يخرق الحجب السبع ولعل المراد بالحجب السبع هى الحاءات السبع من الرذائل التى تحجب النفس عن الاستضاءة بأنوار الحق وهى (الحقد ، الحسد

الحرص ، الحدة ، الحماقة ، الحيلة ، الحقارة) فالسجود على التربة من عظيم التواضع والتوسل باصفياء الحق يمزقها ويخرقها ويبدلها بالحاءات السبع من الفضائل وهى (الحكمة، الحزم ، الحلم، الحنان ، الحصافة الحياء، الحب) ولذا يروى صاحب الوسائل عن الديلمى قال كان الصادق (ع) لايسجد إلا على تربة الحسين (ع) تذللا لله واستكانة اليه ولم تزل الأئمة من اولاده واحفاده تحرك العواطف وتحفز الهمم وتوفر الدواعى الى السجود عليها والالتزام بها وبيان تضاعف الأجر والثواب فى التبرك بها والمواظبة عليها حتى التزمت بها الشيعة الى اليوم هذا الالتزام مع عظيم الاهتمام ، ولم يمض على زمن الصادق (ع) قرن واحد حتى صارت الشيعة تصنعها الواحا وتضعها فى جيوبها كما هو المتعارف اليوم فقد روى فى الوسائل عن الامام الثانى عشر الحجة (ع) ان الحميرى كتب اليه يسأله عن السجدة على لوح من طين قبر الحسين هل فيه فضل؟ فأجاب (ع) يجوز لك وفيه الفضل ثم سأله عن السبحة فأجاب بمثل ذلك ، فيظهر ان صنع التربة أقراصا والواحا كما هو المتعارف اليوم كان متعارفا من ذلك العصر اى وسط القرن الثالث حدود المائتين وخمسين هجرية وفيها قال روى عن الصادق ان السجود على طين قبر الحسين ينور الارضين السبع ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحسين كتب مسبحا وان لم يسبح فيها ، وليس احاديث فضل هذه التربة الحسينية وقداستها منحصراً بالشيعة وأحاديثهم عن أئمتهم بل لها فى امهات كتب حديث علماء السنة شهرة وافرة واخبار متضافرة وتشهد بمجموعها ان لها فى عصر جده رسول الله (ص) نبأ شائعاً وذكراً واسعاً والحسين يومئذ

طفل صغير يدرج بل لعل بعضها قبل ولادته والنبي (ص) ينوه عنها ويتحدث بفضلها ويتنبأ بما سيجرى عليها من تلك الدماء الزاكية ويخبر بقتل الحسين وآل بيته وانصاره فيها واذا اردت الوقوف على صدق هذه الدعوى ومكانها من الصحة فراجع كتاب الخصائص الكبرى للسيوطى طبع حيدر آباد سنة ١٣٢٠ فى باب اخبار النبى بقتل الحسين (ع)

فقد روى فيه ماينا هز العشرين حديثا عن اكابر الثقاة من رواة علماء السنة ومشاهيرهم كالحاكم والبيهقى وابى نعيم واضرابهم عن ام الفضل بنت الحارث وام سلمة وعائشة وأنس واكثرها عن ابن عباس وام سلمة وأنس صاحب رسول الله وخادمه الخاص به يقول الراوى فى اكثرها انه دخل على رسول الله (ص) والحسين فى حجره وعينا رسول الله تهرقان الدموع وفى يده تربة حمراء فيقول الراوى ما هذه التربة يارسول الله فقال اتانى جبرئيل فأخبرنى ان امتى ستقتل ابنى هذا واتانى بتربة من تربته حمراء وهى هذه وفى طائفة اخرى انه يقتل بأرض العراق وهذه تربتها وانه أودع تلك التربة عند ام سلمة زوجته فقال اذا رأيتها وقد فاضت دماً فاعلمى ان الحسين قتل وكانت تتعهدها حتى اذا كان يوم عاشوراء عام شهادة الحسين وجدتها قد فاضت دما فعلمت ان الحسين قد قتل بل فى هذا الكتاب (الخصائص) وفى (العقد الفريد) لعبد ربه اخرج البيهقى وابو نعيم عن الزهرى قال بلغنى انه يوم قتل الحسين لم يقلب حجر من احجار بيت المقدس إلا وجد تحته دم عبيط

وعن ام حيان يوم قتل الحسين اظلمت الدنيا ثلاثا ولم يمس احدهم من زعفرانهم شيئا إلا احترق ولم يقلب حجر فى بيت المقدس إلا وجد تحته

دم عبيط .

اما احاديث التربة الحسينية وقارورة ام سلمة وغيرها وشيوع ذكرها في حياة النبي واخباره عن فضلها وعن قتل الحسين فيها قبل ولادة الحسين وبعد ولادته وهو طفل صغير ، المروية فى كتب الشيعة والتاريخ والمقاتل فهى كثيرة مشهورة متضافرة بل متواترة لو اجتمعت لجاءت كتابا مستقلا ومن باب الاستطراد والمناسبة نقول ان نبينا (ص) كما اخبر بقتل ولده الحسين (ع) فى كربلا قبل وقوعه ودفع لزوجته ام سلمة من تربته وأراها لجملة من اصحابه كذلك اخبر بحوادث كثيرة ووقائع خطيرة قبل وقوعها فوقع بعضها فى حياته وبعضها بعد رحلته من الدنيا (فمن الأول) اخباره بفتح مكة ودخولهم المسجد الحرام آمنين مطمئنين كما فى القرآن الكريم واخباره بغلبة الروم على الفرس فى بضع سنين كما فى القرآن ايضاً واخباره بان كسرى قد مات او قتل واخباره بالكتاب الذى مع حاطب بن بلتعة وكثير من امثالها (ومن الثانى) اخباره بان اصحابه يفتحون ممالك كسرى وقيصر وان اصحابه يختلفون فى الخلافة من بعده واخباره بمقتل عثمان وشهادة أمير المؤمنين بسيف بن ملجم وبسم ولده الحسن وغلبة بنى امية على الامة وبشهادة قيس بن ثابت الشماس وبفتح الحيرة البيضاء وقضية المرأة التى وهبها لبعض اصحابه ولما فتح الحيرة خالد بن الوليد طلبها منه واستشهد بشاهدين من الصحابة فدفعها له وهى الشماء اخت عبد المسيح بن بقيلة كبير النصارى وقسيهم الأعظم ، الى كثير من امثال هذه الوقائع التى لو جمعت لكانت كتاباً مستقلا ايضاً .

تتمة فيها فوائد مهمة :

حيث اننا ذكرنا فى صدر هذه النبذة الوجيزة جملا تتعلق بالارض واحوالها وناحية من شؤنها وخيراتها وبركاتها رأينا من المناسب تعميم الفائدة بالتوسع فى ذكر نواح اخرى تتعلق بالارض تشريعية او تكوينية حسبما يخطر على البال مع جرى القلم ولا ندعى الاستيعاب والاحاطة فانه يحتاج الى استفراغ وسع لا يساعد عليه تراكم اشغالنا وتوفر اعمالنا وتهاجم العلل والاسقام على قوانا وانما نذكر ما خطر وتيسر على جهة الانموذج ولعل المتتبع يجد اكثر مما ذكرنا ويستدرك بالكثير والقليل علينا وبالله المستعان وعليه التكلان .

الفائدة الاولى :

ورد فى جملة من اخبارنا المروية فى كتب الحديث المتعبرة بل هى اقصى مراتب الاعتبار والوثاقة عندنا مثل كتاب (الكافى) الذى هو اجل وأوثق كتاب عند الشيعة الامامية نعم ورد فيه وفى امثاله من الكتب العالية الرفيعة كعلل الشرايع للصدوق أعلاالله مقامه فضلا عن غيره من المتأخرين (كالبحار) وغيره عدة اخبار ولعل فيها الصحيح والموثق مضمونها الشايعة عند العوام ان الارض يحملها حوت او ثور وضعها على قرنه فاذا شاء ان تكون فى الارض زلزلة حرك قرنه فتزلزل الارض مثل ما فى (روضة الكافى) ما نصه على بن محمد عن صالح بن ابى حماد عن بعض اصحابه عن عبد الصمد بن بشير عن ابى عبد الله اى (الصادق « ع ») قال: ان الحوت الذى يحمل الارض استرق نفسه انه انما يحمل الارض بقوته فأرسل الله اليه حوتاً اصغر من شبر واكبر من

فتر فدخل فى خياشيمه فصعق فكث بذلك اربعين يوما ثم ان الله رأف به ورحمه وخرج فاذا أراد الله تعالى بأرض زلزلة بعث ذلك الحوت الى ذلك الحوت فاذا رآه اضطرب فتزلزلت الارض .

ومثله فى الوغي (الوافى) (عمن لايحضره الفقيه) ثم عقبها صاحب الوافى الفيض الكاشانى رحمه الله بقوله وسر هذا الحديث ومعناه مما لا يبلغ اليه افهامنا ؛ ونقل عن الفقيه حديثاً ان زلزلة الارض موكولة الى ملك يأمره الله متى شاء فيزلزلها ، وفى خبر آخر أن الله تعالى امر الحوت بحمل الارض وكل بلد من البلدان على فلس من فلوسه فاذا أراد تعالى أن يزلزل ارضا امر الحوت ان يحرك ذلك الفلس فيحركه ولو رفع الفلس لانقلبت الى كثير من امثالها التى لا نريد فى هذا المجال جمعها واستقصائها وانما الغرض الاشارة والايماء اليها والتنبيه على ماهو المخرج الصحيح منها ومن امثالها بصورة عامة فنقول : ان اساطين علمائنا كالشيخ المفيد والسيد المرتضى ومن عاصرهم أو تأخر عنهم كانوا اذا مروا بهذه الاخبار وامثالها مما تخالف الوجدان وتصادم بديهة العقول ولا يدعمها حجة ولا برهان بل هى فوق ذلك الى الخرافة أقرب منها الى الحقيقة والواقع ، نعم اذا مر على أحدهم احد هذه الأحاديث وذكرت لديهم قالوا هذا خبر واحد لا يفيد علما ولا عملا ولا يعملون إلا بالخبر الصحيح الذى لا يصادم عقلا ولا ضرراً ؛ ولذا شاع عن هذه الطبقة أنهم لايقولون بحجية خبر الواحد إلا اذا كان محفوفاً بالقرائن المفيدة للعلم ؛ ولا بد من رعاية القواعد المقررة للعمل بالخبر المنقول عن النبى والأئمة المعصومين سلام الله عليهم وهى فائدة جليلة لاتجدها فى غير هذه

الاوراق :

القاعدة الكلية والضابطة المرعية :

ان الاخبار المروية عن رسول الله (ص) والأئمة المعصومين (ع) سواء كانت من طرق رواة الإمامية أو من طرق الجماعة والسنة تكاد تنحصر من حيث مضامينها فى أنواع ثلاثة :

(الأول) مايتضمن المواعظ والاخلاق وتهذيب النفس وتحليتها من الرذائل وما يتصل بذلك من النفس والروح والعقل والملكات ويلحق بهذا ما يتعلق با لجسد من الصحة والمرض والطب النبوى وخواص الثمار والأشجار والنبات والاحجار والمياه والآبار وما يتضمن من الادعية والاذكار والاحراز والطلاسم وخواص الآيات وفضل السور وقرائة القرآن ، بل ومطلق المستحبات من الأقوال والأفعال والأحوال ، فكل خبر ورد فى شىء من هذه الأبواب والشؤون يجوز العمل به والإعتماد عليه لكل احد من سائر الطبقات . ولا يلزم البحث عن صحة سنده ومتنه إلا اذا قامت القرائن والامارات المفيدة للعلم والظن بكذبه وأنه من اكاذيب الدساسين والمفسدين فى الدين :

النوع الثانى :

مايتضمن حكما شرعياً فرعياً تكليفياً أو وضعياً ، وهى عامة الاخبار الواردة فى أبواب الفقه من أول كتاب الطهارة بما يشتمل عليه من الغسل والوضوء والتيمم والمياه ونحوها وكتاب الصلوة بانواعها الكثيرة من الفروض والنوافل من الرواتب وغيرها ذوات الاسباب وغيرها والزكاة والخمس وأحكام الصوم والجهاد وأبواب المعاملات والعقود

الجائزة واللازمة وكتاب النكاح وأنواعه والطلاق واقسامه وما يلحق به من الخلع والطهارة وغيرهما ؛ الى ان ينتهى الامر الى الحدود والديات وأنواع العقوبات الشرعية والجرائم والآثام المرعى فيها سياسة المدن والصالح العام ؛ وكل الاخبار الواردة والمروية فى شى من هذه الابواب لا يجوز العمل بها والإستناد اليها إلا للفقيه المجتهد الذى حصلت له من الممارسة وبذل الجهد واستفراغ الوسع وملكة الاستنباط وكملت له الاهلية مع الموهبة القدسية نعم يجوز لاهل الفضل والمراهقين والذين هم فى الطريق النظر فيها والاستفادة منها ولكن لا يجوز له العمل بما يستفيده منها ويستظهره من مداليلها. ولا الفتوى على طبقها قبل حصول تلك الملكة ورسوخها بعد المزاولة الطويلة والجهود المتمادية مضافا الى الاستعداد والأهلية ؛ نعم لا يجوز ذلك للافاضل فضلا عن العوام حتى فى المستحبات مطلقا إلا ما كان من قبيل الأذكار والأدعية فان ذكر الله حسن على كل حال ويكفى فى بعض المستحبات الرجاء لإصابة الواقع والرجاء بنفسه إصابة ، كما يدل عليه اخبار من بلغه ثواب على عمل فعمله رجاء ذلك الثواب اعطى ذلك الثواب ، وان لم يكن الأمر كما بلغه ولكن مراجعة المجتهد حتى فى مثل هذه الامور أبلغ وأحوط .

النوع الثالث :

ما يتضمن اصول العقائد من إثبات الخالق الأزلى وتوحيده اعنى نفى الشريك عنه وصفاته الثبوتية والسلبية وما الى ذلك من تقديسه وتنزيهه وأسمائه الحسنى وصفاته العليا وتعالى قدرته وعظمته ، ثم النبوة والامامة والمعاد ما يتصل به الحشر والنشر والبرزخ والصراط والميزان

والحساب ونشر الصحف الى جميع ما ينظم فى هذا السلك ، الى ان
ينتهى الى مخلوقاته جل شأنه من السماء والعالم والنجوم والكواكب
والافلاك والاملاك والعرش والكرسى ؛ الى ان ينتهى الى الكائنات
الجوية من الشهب والنيازك والسحاب والمطر والرعد والبرق والصواعق
والزلازل والارض وما تحمله وما يحملها والمعادن والاحجار الكريمه
والبحار العظيمة وخواصها وما فيها والانهار ومجاريها والرياح ومهابها
وانواعها والجن والوحوش وانواع الحيوان بحريا أوبريا أوسمائيا الى
امثال ذلك مما لا يمكن حصره ولا يحصر عده . فان الاخبار عن النبي
والأئمة قد تعرضت لجميع ذلك ، وقد ورد فيها من طرق الفريقين الشىء
الكثير وفى الحق ان هذا من خصائص دين الاسلام ودلائل عظمته
وسعة معارفه وعلومه فانك لا تجد هذه السعة الواردة فى أحاديث
المسلمين فى دين من الاديان مهما كان ولكن الضابطة فى هذا النوع من
الاخبار أن ما يتعلق منه بالعقائد واصول الدين من التوحيد والنبوة
فان كان مما يطابق البراهين القطعية والادلة العقلية والضرورية يعمل
به ولا حاجة الى البحث عن صحة سنده وعدم صحته وهذا مقام ما يقال
ان بعض الاحاديث متونها تصحيح اسانيدها وان كان مما لم يشهد له
البرهان ولم تؤيده الضرورة ولكنه فى حيز الامكان ينظر فان كان الخبر
صحيح السند صح الألتزام به على ظاهره وإلا فان امكن صرفه عن ظاهره
وتأويله با لحمل على المعانى المعقولة تعين تأويله ؛ وان لم يمكن تأويله
وكان مضمونه منافيا للوجد ان صادما للضرورة فمع صحة سنده لا يجوز
العمل به لخلل فى متنه بل يرد علمه الى اهله وان كان غير صحيح السند

يضرب به الجدار ووجب إسقاطه من جمهرة الاخبار اذا تمهدت هذه المقدمة ، فنقول فى الاخبار الواردة فى الارض والحوت والثور ، وكذا ما ورد فى الرعد والبرق ونحوها من ان البرق مخاريق الملائكة والرعد زجرها للسحاب كما يزجر الراعى ابله أو غنمه . وأمثال ذلك مما هو بظاهره خلاف القطع والوجدان . فان الارض تحملها مياه البحار المحيطة بها وقد سبروها وسيروها وساروا حولها فلم يجدوا حوتاً ولاثوراً ، وعرفوا حقيقة البرق والرعد والصواعق والزلازل باسباب طبيعية قد تكون محسوسة وملموسة وتكاد تضع اصبعك عليها .

فمثل هذه الأخبار على تلك القاعدة ان امكن حملها على معان معقولة وجعلها اشارة الى جهات مقبولة ورموز الى الأسباب الروحية المسخرة لهذه القوى الطبيعية فنعم المطلوب ، وإلا فالصحيح السند يرد علمه الى اهله والضعيف يضرب به الجدار ولا يعمل ويلتزم لا بهذا ولا ذاك وهنا دقيقة لابد من التنبيه عليها والاشارة اليها وهى : ان من الجلى عند المسلمين عموماً بل وعند غيرهم ان الوضع والجعل والدس فى الاخبار قد كثر وشاع وامتزج المجعولات فى الاخبار الصحيحة بحيث يمكن ان يقال ان الموضوعات قد غلبت على الصحاح الصادرة من امناء الوحى وأئمة الدين . ويظهر ان هذه المفسدة والفتق الكبير فى الاسلام قد حدث فى عصر النبوة حتى صار النبي (ص) يحذر منه وينادى غير مرة « من كذب على فليتبوء مقعده من النار ، وانه ستكثر على الكذابة » ومع كل تلك المحاولات والتهويلات لم تنجع فى الصد عن كثرته فضلا عن ابادته وقد حدث فى عصره (ص) وما يليه من الشيء الكثير من

الاسرائيليات واقاصيص عن الامم الغابرة ونسبة المعاصي والكباير الى الانبياء والمرسلين والمعصومين ، واشتهر بهذه الاوضاع اشخاص مشهورون فى ذلك العصر مثل عبد الله بن سلام ؛ وكعب الاحبار ووهب بن منبه ، وامثالهم ثم تتابعت القرون على هذه الخيمة وانتشرت هذه الخصلة الذميمة ففى كل قرن اشخاص معروفون بالجعل وقد يعترفون به اخيراً وأشهرهم بذلك زنادقة المسلمين المشهورين مثل حماد الراوية وزملائه ومثل ابن الكوا وابن ابى العوجاء وامثالهم ،

ذكر العالم الثبت العلامة الحبر الجليل الفلكى الرياضى الشهير (ابو ريحان) البيرونى فى كتابه الممتع العديم النظير (الآثار الباقية) طبع اوربا قال ما نصه من (٦٧) :

وقد قرأت فيما قرأت من الأخبار ان ابا جعفر محمد بن سليمان عامل الكوفة من جهة المنصور حبس عبد الكريم بن ابى العوجاء وهو خال معن بن زائدة وكان من المانوية فكثر شفعاؤه بمدينة السلام وألحوا على المنصور حتى كتب الى محمد بالكف عنه وكان عبدالكريم يتوقع ورود الكتاب فى معناه فقال لأبى الجبار وكان منقطعاً اليه إن أخرنى الأمير ثلاثة ايام فله مائة الف درهم فاعلم ابو الجبار محمداً فقال الأمير ذكرينيه وقد نسيته فاذا انصرفت من الجمعة فذكرنيه فلما انصرف ذكره إياه فدعا به فضرب عنقه فلما أيقن انه مقتول قال اما والله لئن قتلتمونى لقد وضعت اربعة آلاف حديث احرم فيها الحلال واحل بها الحرام ولقد فطرتم فى يوم صومكم وصومتكم فى يوم فطركم ثم ضرب عنقه ، وورد فى معناه بعد ؛ انتهى ،

وذكر غيره على ما يخطر ببالى ان بعض المحدثين قال فى آخر عمره انى وضعت فى رواياتكم خمسين الف حديث فى فضل قراءة القرآن وخواص السور والآيات فقيل له تبوء إذاً مقعدك من النار فقد ورد عن النبي (ص) انه قال من كذب على فليتبوء مقعده من النار فقال ماكذبت عليه بل كذبت له ولم يعرف هذا الشقى ان الكذب له عنه كذب عليه ، وهذا قليل من كثير ما ورد فى هذا الباب وهنا ملحوظة اخرى غير خفية وهى ان الكثير ممن دخلوا الاسلام لم يدخلوا به رغبة فيه واعتقادا بصحته وما دخلوا فيه إلا للكيد فيه وهدم مبانيه والعدو الداخلى اقدر على الاضرار من العدو الخارجى فدسوا فى الاحاديث اخباراً واهية تشوه صورة وجه الأسلام الجميلة ودعوته المقبولة وتحط من كرامته وتلف من منشور رايته التى خفقت على الخافقين .

وهذا باب واسع يحتاج الى فصل بيان لا مجال له هنا وانما الغرض هل يبقى وثوق بعد هذا بصدور هذه الأخبار من أئمتنا المعصومين الذين هم تراجمة الوحى ومجسمة العقول والمثل العليا فكيف يحدثون بما لا يقبله العقل ولا يساعده الوجدان ؛ نعم يمكن تأويل قضية الأرض والحوت والثور على فرض صدورها عن الأئمة (ع) بانه اشارة الى ان الحوادث هى قوة الحياة المودعة فى الارض التى يحيا بها النبات والحيوان والانسان فان قوة الحياة هى التى تحمل الارض والثور اشارة الى مايثير تلك القوة ويستغلها من الآلات والمعدات الى كثير من التأويلات والمحامل التى لسنا الان بصددها وانما الغرض المهم تنبيه أرباب المذاهب الاسلامية وغيرهم

بل وحتى عامة الامامية أنه لايجوز التعويل والاعتماد على ما فى كتب الأحاديث من الأخبار المروية عن أئمتنا ولا يصح أن ينسب الى مذهب الامامية ما يوجد فى كتب احاديثنا ولو كانت فى أعلى مراتب الجلالة والوثاقة وقد أتفقت الامامية قولا واحداً ان اوثق كتب الحديث وأعلاها قدراً وأسماها مقاما هو كتاب (الكافى) ويليه (الفقيه) (والإستبصار) (والتهذيب) ومع ذلك لا يصح الاعتماد على ماروى فيها فان فيها الصحيح والسقيم والمعوج والمستقيم والغث والسمين من حيث السند تارة ، ومن حيث المتن اخرى ومن كلا الجهتين ثالثة ولذا قسم أساطين الامامية فى القرون الوسطى الاحاديث بما فيها الكتب الاربعة المشهورة - الى أربعة اقسام الصحيح والحسن والموثوق والضعيف ، ولا يتميز بعضها من بعض إلا بعد الجهود واستفراغ الوسع ، وللأوحدى من أعلام المجتهدين على اننا ذكرنا فى جملة من مؤلفاتنا ان ملكة الاجتهاد وقوة الاستنباط لا يكفى فيها مجرد استفراغ الوسع وبذل الجهد بل تحتاج الى استعداد خاص يستأهل بها منحة الهية ولطفاً ربانياً يمنحها الحق جل شأنه للاوحدى فالاوحدى من صفوة عباده ؛ ومن مجموع ما ذكرنا فى هذا المقام يتضح ان نسبة بعض كتبة العصر ذكروا جملة من الامور الغريبة الى مذهب الامامية لخبر أو رواية وجدوها فى كتبهم أو اعتمد عليها بعض مؤلفيهم لا يصح جعله مذهباً للشيعة بقول مطلق بل لعله رأى خاص لذلك المؤلف لا يوافقه جمهورهم واساطين علمائهم كما انه لايجوز لعوام الإمامية فضلا عن غيرهم النظر فى الأخبار التى هى من النوعين الاخيرين فانه مضلة لهم ومظنة خطر عليهم وليس هو من وظيفتهم وعملهم بل

لابد من اعطاء كل فن لاهله واخذه من اربابه وأساتيذه وبالجملة فيتميز الخبر الصحيح سنداً الصريح دلالة المقبول مذهباً ليس إلا لاساتذة الفقه وجهابذة الحديث ومراجع الامة الاصحاء لاالمدعين والادعياء ،

وما كل ممشوق القوام بثينة ولا كل مفتون الغرام جميل

الفائدة الثانية مما يتعلق بالارض :

ان الشارع الحكيم فى الشريعة الاسلامية قد علق على الارض جملة أحكام ذكرها الفقهاء فى متفرق كتب الفقه ، وقد ذكرناها فى رسائلنا العملية المطبوعة (كالوجيزة) (وحواشى التبصرة) (والسفينة) (والسؤال والجواب) وغيرها فلنذكرها هنا بالايماء والإشارة بمناسبة ذكر الأرض وشؤنها وأحكامها ، مرتبة على حسب ترتيب الفقهاء لكتب الفقه

كتاب الطهارة :

١ ـ الارض من المطهرات العشرة تطهر باطن القدم وأسفل العصا وباطن النعل والحذاء ونظائرها مع المشى عليها وزوال عين النجاسة .

٢ ـ الاستجمار باحجار ثلاثة طاهرة من الارض تطهر المخرج وتغنى عن الماء .

٣ ـ التيمم بالصعيد وهو أما مطلق وجه الأرض فيشمل الصخر والحصى والرمل واشباهها أو خصوص التراب على خلاف بين الفقهاء كالخلاف بين اللغوين ، ولعل الاول أرجح وهو بالكيفية المشروحة فى كتب الفقه يغنى عن الغسل والوضوء الواجبين والمستحبين فى مواضع الضرورة بل ومطلقاً فى بعض الموارد .

٤ ـ وجوب دفن الاموات فى الارض بنحو يمنع ظهور رائحته

ومن وصول الوحوش اليه .

٥ - تعفير خده بالارض عند دفنه ،

كتاب الصلاة :

١ - جواز الصلاة والمرور فى الاراضى الواسعة المملوكة ، ولو مع عدم الاستيذان من مالكها مع عدم الاضرار ، وكذا جواز الوضوء والشرب من الانهار الواسعة المملوكة بغير استيذان .

٢ - وجوب السجود على الارض الطاهرة وما تنبته غير المأكول والملبوس .

٣ - ارغام الانف بالارض عند السجود .

٤ - زلزلة الارض سبب صلاة الآيات المعروفة وهى عشر ركوعات بنحو مخصوص .

الزكاة :

١ وجوب الزكاة فيما تخرجه الارض من الغلات الاربع : الحنطة والشعير والتمر والزبيب ، واستحبابه فيما عدا ذلك نصف العشر فيما تسق بالآلة وضعفه فيما عدا ذلك .

الخمس :

احد موارد وجوب الخمس الارض المنتقلة من المسلم الى الذمى .

البيع :

ارث الزوجة فى الخيار المتعلق بالارض التى ترث فيها الزوجة المنتقلة الى الزوج أو المنتقلة منه وهى من المعضلات المسائل وفيها ابحاث عميقة ودقيقة ولنا فيها رسالة :

المزارعة :

وهى معاملة على زرع الارض بحصة معينة من عائدها ، وهى نوع من أنواع الإجارة والإستيجار انفردت عنها باحكام خاصة ومثلها .

المساقاة :

وهى معاملة على سقى الغروس بحصة معينة من ثمرتها .

المغارسة :

وهى معاملة على غرس فى مدة معينة بمقدار معين من المال أو من ثمراتها ، والمشهور عند الفقهاء صحة المعاملتين الاولبين وبطلان الاخيرة والاصح عندنا صحتها أيضا .

احياء الموات :

وستأتى الإشارة الموجزة الى بيان بعض احكامه فى الفائدة الثالثة

الميراث :

حرمان الزوجة من مطلق الارض عينا وقيمة ، سواء كانت خالية أومشغولة ببناء وعمارة ، أو غرس أو زرع وترث من البناء والغروس قيمة ومن المنقولات عينا وهذا مما انفردت به الأمامية لأخبار خاصة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام .

هذا ما حضرنا على جرى القلم وربما يجد المتتبع اكثر من هذا .

الفائدة الثالثة وهى نافعة وواسعة :

ان الأراضى التى استولى عليها المسلمون ايام الفتح وفى الصدر الاول من الإسلام لاتخلو (أما غامرة) : وهى الموات التى لاتصلح للزرع عادة

أما لان المـاء يغمرها اكثر السنة أو لأنه لايصل اليها مطلقاً أو فى ايام الزرع أو لانها سباخ ويدخل فيها الاودية والآجام ورؤوس الجبال وسيف البحار ، وكل هذه الانواع تدخل فى الإنفال ؛ وهى راجعة لولى الامر يعمل فيها وفيما يوجد من المعادن فى باطنه وغيرها ما يراه صالحاً للاسلام وشؤونه وقوة جنديته واسلحته فلا يجوز لأحد ان يستغل شيئاً منها إلا باذنه أو إذن خلفائه وامنائه على مرور الاحقاب والأعقاب واما (عامرة) وهى اقسام :

(اولها) واشهرها المفتوح عنوة أى بالقهر والقوة وهو ما اوجف المسلمون عليه بخيل وركاب وذلك كالعراق بأجمعه واكثر ايران واكثر اراضى الشام وفلسطين وشرق الاردن ونحوها ، وقد شاع واشتهر انهذا القسم ملك أو مختص بالمسلمين وان تقبيله وتصريفه أيضاً لولى الامر وخلفائه ، وهذا القسم هو المعروف بارض الخراج يقبل الامام لآحاد المسلمين مقداراً منه فيزرعونه ويأخذمنه العشر قيمة وهو الخراج أو عيناً وهو المقاسمة ثم يصرف مايستوفيه منذلك فى مصالح الاسلام والمسلمين سلماً أو حربا هجوماً أو دفاعا مما لا مصداق له اليوم بل ويا ليتنا نسلم من شرهم ونفلت من اشراكهم ،

(ثانيها) الارض التى اسلم عليها أهلها اختياراً كالمدينة وكثير من اراضى اليمن .

(ثالثها) الارض التى صالح عليها أهلها مناهل الذمة وهى المعروفة بأرض الجزية وحكم هذين القسمين انه ملك طلق لاربابه لاشىء عليهم فيها سوى الزكاة فى غلتها بشروطها المعلومة أماالمفتوح عنوة فبعداتفاق

الإصحاب انها للمسلمين وان فى غلتها مضافاً إلى الزكاة الخراج أو المقاسمة اختلفوا أشد الأختلاف فى ملكيتها ، فبين قائل انها لاتملك مطلقاً بل هى لعنوان المسلمين الكلى فى جميع الطبقات الى آخر الدهر ، وبين قائل بانه يملكها من تقبلها من الإمام أو السلطان بفرضه عليه من الشروط وبين مفصل بانها تملك تبعاً للاثار لا مطلقاً ، واستدل كل من هؤلاء على مختاره بدليل من الاخبار ووجوده من الاعتبار وغيرهما وارتبك القائلون بعدم الملكية مطلقا أو الاتباع للاثار با لسيرة المستمرة من اليوم الى يوم الإسلام الاول فى البيع والشراء والوقف والرهن على رقبة الارض مع القطع النظر عن الآثار وهذه العقود تتوقف على الملكية إذ لا بيع إلا فى ملك ولا وقف إلا فى ملك وهكذا ثم لازم القولين إن المسجد اذا زال بنيانه با لكلية يزول عن المسجدية حينئذ ويصح جعله داراً ومزرعة أو غير ذلك ، بل ويجوز تنجيسه ومكث الجنب فيه الى آخر ماهناك ، وهذه اللوازم مما لايمكن الألتزام بها اصلا

وحل عقدة هذا البحث :

ان الاصحاب رضوان الله عليهم من الصدر الاول الى اليوم قد توهموا من الاخبار وفهموا منها عدم الملكية الشخصية لاحد من الناس لشيء من المفتوح عنوة وانه ملك لكلى المسلمين الى نهاية الدهر لو أن للدهر نهاية وغفلوا عن نكتة دقيقة فى تلك الاحاديث لو التفت احد منهم اليها لما وقع هذا الارتباك ، وحاصل ما يستفاد من مجموع ماورد من الروايات فى هذا الباب هو ان الارض العامرة قسمان (قسم) هو مطلق لاربابه لاشيء عليهم فيه سوى الزكاة وهما الارض التى اسلم عليها

اهلها والتى صالحوا عليها (والقسم الثانى) وهو المفتوح عنوة فيه مضافاً إلى الزكاة حق آخر لعنوان المسلمين ومصالحهم الى يوم القيامة لايراد بذلك نفى الملكية مطلقا بل نفى الملكية المطلقية وبيان ان لها نوعا خاصاً من الملكية وذاك ان فيه أى عايدة حق للمسلمين ليس فى سائر الانواع وهـذه النكتة بعد التنبيه عليها جلية من الروايات والعجب كيف غفل عنها اولئك الاعاظم ،

ففى خبر محمد بن شريح سألت ابا عبد الله (اى الصادق) عن شراء الارض من ارض الخراج فكرهه ؟ وقال : انما أرض الخراج للمسلمين فقالوا له فانه يشتريها الرجل وعليه خراجها ؟ فقال : لا بأس إلا أن يستحى من عيب ذلك .

وفى (صحيحة صفوان) قال : حدثنى ابو بردة قال : قلت لابى عبد الله (ع) كيف ترى فى شراء ارض الخراج ؟ قال : ومن يبيع ذلك وهى ارض المسلمين ، قال : قلت يبيعها الذى هى فى يده ؟ قال ويصنع بخراج المسلمين ماذا ؟ ثم قال لا بأس ان يشترى حقه منها ويحول حق المسلمين عليه ولعله يكون أقوى عليها واملأ بخراجهم منه ؛ انظر كيف استنكر الإمام بيعها ثم امضاه من الذى هى بيده اذا التزم بخراجها فليس محط النظر فى كل طائفة من الاخبار الواردة فى هذا الموضوع إلا المحافظة على الخراج الذى هو حق المسلمين ومصالح الإسلام ، نعم فى هـذا كثير من الأخبار ما يظهر منه المنع مطلقاً مثل صحيحة ابن ربيع الشامى لاتشتروا من ارض السواد فانها للمسلمين ، وهو وامثاله محمول على ما ذكرناه .

فاغتنم هذه الفائدة فانها فريدة ومفيدة وهى من مفرداتنا فيما أحسب والمراد بارض السواد العراق فانه كان عامراً باجمعه فمن توجه اليه يرى من بعد سواداً متراكما وهذا السواد هو البياض حقيقة أما بياض اراضى العراق اليوم لخرابها وعدم عمرانها فيها سواد الوجه ؛ وحقا ما قالوا : الظلم لا يدوم واذا دام دمر ، هذا حال العامر حال الفتح فاذا خرب وكان صالحاً للعمارة والزم السلطان صاحب الارض بعمارتها فان عجز دفعها ولى الامر لمن يعمرها وتبقى على ملك الاول ويأخذه اجرة الارض من المعمر الثانى ويدفع خراجها ، اما لو جهل مالك الارض فلولى الامر ان يدفعها للمعمر اً وتقبيلا أو تمليكا أو اجارة حسبما يراه من المصلحة ، فلو ظهر صاحبها اخذ الاجرة هذا حكم الموات بعد الفتح أما الموات قبله وهو الذى اشرنا اليه فى صدر هذه الفائدة وهو المعنون بكتب الفقهاء بكتاب (احياء الموات) فقد شاع واشتهر حديث (من احيا ارضا ميتة فهى له) وربما يستكشف منه الاذن العام فى الاحياء لكل احد مسلماً كان أو غيره وتكون ملكا طلقاً له لاحق فيها لاحد لاخراجها ولا مقاسمة ولا غيرهما ، نعم فى غلتها الزكاة بشروطها كغيرها من الاراضى المملوكة ولكن الاصح عندنا وهو الاحوط استيذان الامام فى الاحياء أو نائبه فان شاء اذن له مطلقا وان شاء باجرة حسبما يراه من المصلحة ووضع الارض سهولا وحزوناً وغير ذلك ، نعم اشترطوا فى احياء الموات شروطا :

١ ـ أن لايكون مملوكاً لمسلم ومعاهد سواء لم يعلم ملكية احد له او علم وباد اهله ،

٢ ـ أن لا يكون محجراً فان التحجير يفيد الاختصاص والاولوية .

٣ ـ أن لايكون قد جرى عليه اقطاع من السلطان أو الامام فانه كالتحجير .

٤ ـ أن لا يكون مشعراً للعبادة كعرفة ومنى وامثالها .

٥ ـ أن لا يكون حريماً لعامر من بلد أو قرية أو بستان أو مزرعة ولا ما يحتاج اليه العامر من طريق أو شرب أو مراح أوميدان سباق ونحوها . (تنبيه) مما يلحق بهذا البحث المشتركات العامة واصولها ثلاثة :

المياه ، والمعادن . والمنافع ، وهى ستة منافع : المساجد ، والمشاهد والمدارس ، والربط ومنها الخانات فى الطرق ، والمنازل للمسافرين والطرق ـ اى الشوارع والجادات ، ومقاعد الأسواق .

ومعنى الاشتراك هنا ان كل من سبق الى شيء أو محل من تلك الأماكن فهو احق به ، ولا يجوز لغيره مزاحمته فلو دفعه غيره فعل حراما قطعا فان كان عينا كالماء والمعدن فهو غصب بلا اشكال وان كان موضعا كالمدرسة والخان والشارع فلا يبعد الغصب على اشكال وان كان مشعراً كالمشاهد والمساجد ونحوها فالأقرب عدم تحقيق الغصبية لعدم حق مالى فيها يتحقق به الغصب كما اوضحناه فى كثير من مؤلفاتنا وها هنا مباحث جليلة وتحقيقات دقيقة لا يسعها هذا المختصر وهى موكولة الى محالها .

الفائدة الرابعة :

تشتمل على امور (الأول) : كان قدماء فلاسفة الحكمة الطبيعية الى

هذه العصور الأخيرة يرون ان عناصر الاجسام المادية التى تتركب الكائنات العنصرية منها هى أربعة : الماء، والتراب ، والنار ، والهواء ويسمونها (الاستقصات) كلمة يونانية ومنه نشأت النادرة الادبية المعروفة حيث ان احد ادباء الموصل فى بغداد قال فى موشحته :

كرة النار على ايدى الهواء　　رفعت يحملها ابن السماء

استقصات بزعم الحكماء　　بعضها من فوق بعض ركبا

ليتنى كنت تمام الاربع

فقال له بعض النجفيين مطايبة قال الله سبحانه فى كتابه : (ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا) .

نعم العناصر عند القدماء أربعة ؛ اما اليوم وفى العلم الحديث فقد بلغت العناصر التى تتركب منها الاجسام جامدة أو سائلة أو غازاً سبعين عنصراً أو اكثر ، واكثر العناصر الكيمياوية التى تتكون منها الارض ولا سيما الاراضى الزراعية هو : الازوت ؛ والسليس ؛ والأوكسجين وكربونات الجير المغنيسيات ، واوكسيد الحديد ، والبوتاسا ، والصودا وغيرها وتختلف مقاديرها بحسب اختلاف الأراضى وتسمى عندهم باسم العنصر الغالب فبعضها طينية وبعض رملية واخرى حصوية وهكذا وكما ان الارض والتراب تتركب من العناصر وتنحل اليها فكذلك الماء والهواء فان كلا منهما يتركب من الاوكسجين والهيدرجين وغيرها بنسب متفاوتة ومقادير معينة وكذلك الاجسام البشرية والحيوانية ، والنباتية ولكل واحد من هذه العناصر مزية تخصه لا توجد فى الآخر وكل هذا مذكور ومفصل فى العلوم الطبيعية بالمعنى الواسع وليس الغرض هنا إلا

ذكر مايتعلق بالارض بنحو موجز كالرمز ويطلبه من اراد التوسع من محاله ومن اهله .

(الامر الثانى) : فيما يتعلق بحركة الأرض وسكونها وهى من مهمات المسائل الرياضية وامهاتها ومن المعلوم لدى كل ذى حس ان الزمان عبارة عن ليل ونهار يتقوم بهما الشهر ، والسنة عبارة عن الفصول الاربعة وكل هذه المعانى والاعتبارات متحصلة من الشمس والقمر والارض من حركة بعضها بعضا الى الآخر ودوران بعضها على بعض انما الاشكال على اوليات الدهر والخلاف بين اعاظم الحكماء اليونانيين الاولين وغيرهم انه هل الشمس تدور على الارض أو الارض تدور عليها بعد الاتفاق على ان القمر هو الدائر على الارض ويتم دورته من المغرب الى المشرق فى سبعة وعشرين يوما تقريباً ومن هذه الدورة وما يلحقها يحصل الشهر ، والاقوال فى حركة الشمس أو الارض كثيرة قد تزيد على ستة ولكن المشهور منها مذهبان : الاول مذهب (فيثا غورس) الذى كان قبل المسيح بخمسمائة سنة ثم تبعه جماعة من فلاسفة اليونان مثل (فلوطرخوس) (وارشميدس) (وايزاخوس) ولكن حيث ان هذا الرأى قد يتنافى مع ظاهر الحس (وما اكثر ما يخطأ الحس فان المحسوس الارض واقفه والشمس والقمر يتحركان عليها كما قال الشاعر

تجرى على كبد السماء كما يجرى حمام الموت بالنفس

لذلك كفرهم اهل زمانهم وبقى هذا الرأى مهجوراً ومستوراً حتى جاء (بطليموس) قبل المسيح بمائة وخمسين سنه فأيد ما يراه العوام من سكون الارض وحركة جميع السيارات عليها وشاع واشتهر هذا الرأى

وعليه جرى حكماء الإسلام من زمن الرشيد والمأمون الى زمن ابن سينا ونصير الدين الطوسى وامثالهم من أعاظم فلاسفة الإسلام الى هـذه العصور الأخيرة وفرضوا لكل واحد من السيارات فلكاً خاصاً والكوكب مركوز فى ثخنه وفرضوا العالم الجسمانى كله فى ثلاثة عشر كرة .

(١) الارض وهى المركز الذى تدور عليه جميع الكرات والسيارات والافلاك النيران وغيرهما (٢) الماء وهو غير تام الاستدارة لانحساره عن الربع المسكون من الارض واللازم بعد اكتشاف امريكا ان المسكون اكثر من الربع (٣) ثم كرة الهواء محيطه بالارض والماء (٤) كرة النار تحيط بالجميع ثم (٥) فلك القمر محيط بتلك الكرات ومتصل مقعره بمحدبها والقمر مركوز فى ثخنه (٦) فلك عطارد (٧) الزهرة (٨) الشمس (٩) المريخ (١٠) المشترى (١١) زحل (١٢) فلك الثوابت ومنطقة البرزخ (١٣) الفلك الأطلس وهو فلك الافلاك ومحرك الكل وينتهى عالم الاجسام بنهاية هذا الفلك الاعلى فلا خلا ولا ملا ويقال ان فلك البروج هو العرش وفلك الإفلاك هو الكرسى والله العالم ، وألجأهم ما رصدوه من حركة القمر والسيارات وما وجدوه لما عدا النيرين من الرجوع والإقامة والإستقامة وهى الخمسة المتحيرة الى الالتزام بأن كل فلك فى ضمنه قطعات كالجوزهرات والموائل والحوامل والمثلات وغير ذلك من الفروض التى صارت بها هـــذه الهيئة (البطليموسية) اعقد من (ذنب الضب) وكان علماء الغرب فى القرون التى انبثق فيها نور الإسلام فى ظلام دامس فلما احتكوا بالمسلمين فى الحروب الصليبية وفى مدارس قرطبة وغيرها من الاندلس فتحوا

عيونهم واتسعت معارفهم من القرن التاسع وخاضوا فى شتى العلوم واخصها الرياضيات وكانت الهيئة السائدة عندهم هى هيئة بطليموس ومن خالفها احرقوه واحرقوا كتبه .

ونقل ان الفلكى (برنو) قال بحركة الارض فى القرن العاشر الهجرى فأجلوه عن وطنه ثم سجنوه ست سنين ثم احرقوه واحرقوا كتبه ولكن تأثره وشيد رأيه (غاليلو) بعد القرن العاشر فاضطهدوه حتى كاد ان يهلك ولكن بما ان الحقيقة تهتك الستور وتأبى إلا السفور لذلك انتشر هذا الرأى حتى صار من المسلمات التى لا تقبل الشك وخلاصته : ان الأرض كوكب سيار وكرة سابحة فى هذا الفضاء حول الشمس كسائر الكواكب التى يتألف منها نظامنا الشمسى وهى السيارات السبع وغيرها مما توصلوا اليه من الدائرات حول الشمس ولم يكن معروفاً مثل (فلكان) (ونبتون) ولها ـ أى للارض حركتان (وضعية) (وموضعية) اى انتقالية فأولى دورانها على محورها نحو الشمس ومنها يحصل الليل والنهار وتقطع بهذه الحركة فى الثانية (٣٠٠) كيلو متر ، والثانية على الشمس وحولها ومنها تحصل فصول السنة الربيع والشتاء والخريف والصيف ومحيطها ٤٠٠٠ كيلو متر وقطرها ٣٠٠٠ وكلها تقريبية ونسبة حجمها الى الشمس نسبة الواحد الى المليون واربعمائة الف وتقطع فى حركتها الثانية الدورة فى ٣٦٥ يوم وتطوى فى اليوم الواحد اكثر من خمسمائة الف فرسخ سابحة فى الفضاء تقرب من الشمس وتبعد عنها فى مدار اهليلجى تقريباً وهى منتفخة مستديرة فى وسطها مسطحة فى قطبيها وكروية فى الجملة تستمد نورها كسائر السيارات من الشمس ، والشمس تفيض عليها

وعلى سائر السيارات الدائرة حولها النور والحرارة .

ويعجبنى ما فى بعض الاخبار على ما يخطر ببالى من قول الإمام الصادق (ع) لبعض اصحابه ممن يزاول علم النجوم اذ يقول للإمام ان لى فى النظر بالنجوم لذة فيقول له ممتحنا كم تسق الشمس القمر من نورها ؟ فقال : هذا شىء لم اسمعه فقال الإمام كم تسق الشمس الزهرة من نورها ؟ الى ان قال الإمام كم تستق الشمس من اللوح المحفوظ ؟ فان النور لما كان ألطف وأخف من الماء ويجرى اشد من جريانه فانه يطوى فى اللحظة الواحدة ملايين من ملايين من الاميال حسن جداً التعبير عن افاضته على الاجسام الفاقدة له بالسق والاستقاء ، وفى هذا الخبر معان عميقة واسرار دقيقة لا مجال لذكرها هنا وانما الغرض الاشارة الى بلاغة التعبير بالسق هنا ومناسبته للمقام وابلغ واعلى منه كلمة القرآن المجيد عن دوران الكواكب فى مداراتها وحركاتها فى افلاكها بقوله عز من قائل : (كل فى فلك يسبحون) فان هذا الفضاء الغير المتناهى أو الذى لم تصل عقول البشر الى منتهاه لما كان مملوءاً بالاثير أوبما هو أشف والطف منه وهو أرق من الماء أشبه أن يكون كالبحر المتلاطم والكواكب فى جريانها وحركاتها تسبح فيه وتشق عبابه .

وهاهنا نكتة بديعة وهى ان هذه الجملة الصغيرة لفظاً العظيمة مغزى تضمنت نوعا من ألطف أنواع البديع وهو (مالا يستحيل بالانعكاس) وألطف مثال له النادرة المشهورة فى كتب الادب وهى ان العماد الكاتب التقى ببعض امراء عصره راكباً فرساً فقال له بديهة (سر فلا كبابك الفرس) فتنبه الامير لنكتته البديعة (وان هذا طرده كعكسه) فأجابه

بالمثل فوراً وقال له (دام علاء العماد) .

هذا ما اتخطره من عهد بعيد يوم كنا نطالع كتب الأدب ايام الصبا وهى فى الحق لوكانت مع الفكرة وطول الروية فهى آية قوة الفكر وحدة الذهن فكيف لو صح انها على البديهة ولكن لا يذهبن عنك ان البراعة فى الآية الشريفة وعلو الاعجاز فيها رعاية مناسبة الجملة للموضوع فان الموضوع لما كان هو الكوكب الذى يتحرك فى فلكه ومداره حركة مستديرة ولازمها ان تعود الى مبدئه ويدور على نفسه وطرده كعكسه فالموضوع معنى موضوع لا يستحيل بالانعكاس فناسب ان يعبر عنه بجملة لا لايستحيل بالانعكاس كنفس المعنى والموضوع ؛ وهذه النكتة غاية فى الاعجاز والروعة ولم يلتفت اليها احد من الادباء والمفسرين .

ونعود الى ما كنا فيه فنقول تلك لمحة من حال ارضنا ونظامنا الشمسى اما الثوابت عند اهل هذه الهيئة فهى شموس ايضاً فى الفضاء ولكل واحدة منها اقمار واراضى وتوابع وانظمة وكل واحدة من تلك الشموس اكبر من شمسنا هذه بالوف الملايين حسبما اكتشفوه بالآلات الجديدة والارصاد المستخدمة والتلسكوبات الجبارة وقد وزنوا النور وضبطوا مقادير سيرها وانعكاساتها وجاءوا بالأعاجيب المدهشة مع اعترافهم بان نسبة ما عرفوه واكتشفوه من تلك العوالم الشاسعة النيرة الى ما جهلوا ، نسبة الومضة الى بركان النور ، والقطرة الى البحور ، ولكن كل ما اكتشفوه بآلاتهم وارصادهم تجد الاشارة اليه فى القرآن العظيم واخبار أئمتنا عليهم السلام حتى كون النور وانه مما يوزن وله مقادير معينة اشار اليه الخبر المتقدم بقوله كم تسق الشمس

الارض من نورها حيث يدل على ان النور له كمية ومقدار تفيضه الشمس على الارض .

(والخلاصة) ان حركة الارض وسائر ما برهنت عليه الهيئة الجديدة هو الموافق للقرآن الكريم والسنة النبوية ولا سيما اخبار أئمتنا عليهم السلام وهو مما يحتاج الى مؤلف أو مؤلفات .

(الامر الثالث) مما يتعلق بالأرض : ان الرياضيين من المسلمين بل وغيرهم فرضوا على الفلك المحيط بالارض وما فوقها من الافلاك على طريقتهم دوائر عظام وصغار ، والدائرة العظيمة عندهم هي التي تقسم الكرة نصفين متساويين والدوائر العظام عشرة ، أهمها دائرة المعدل المفروضة على الفلك الأعلى وتقسم الارض الى نصف جنوبي وآخر شمالي ودوائر منطقة البروج المنتزعة من سير الشمس السنوي على البروج الاثني عشر من الحمل الى الحوت وموضع التقاطع في نقطتين بينها وبين الاولى يسميان الاعتدال الربيعي والخريفي وابعد نقطتين بينها نقطتا الانقلابين الصيفي الى الشمال والشتوي الى الجنوب والثالثة من الدوائر العظام دائرة نصف النهار التي تمر على سمة الرأس والقدم وتقسم الفلك والارض الى قسمين شرقي وغربي وتقاطع الأولى والثانية في نقطتين الى آخر ما ذكر في كتب الهيئة مما ليس الغرض بيانه وانما المقصود بيان انهم ذكروا أن المعمور من الارض هو الربع الشمالي فقط من خط الاستواء الى ما يقرب من القطب الشمالي وقسموه الى الاقاليم السبعة مبتدئين من جزائر الخالدات من المغرب ؛ اما علماء الغرب فقسموا هذا الربع المعمور الى القارات الثلاث قبلا وهي آسيا وافريقيا واوربا ثم

اضافوا اليها الرابعة (استراليا) بعد اكتشاف (امريكا) فصارت القارات اليوم خمسة وهى عبارة عن مجموع ما على هذه الكرة التى نحن عليها من البلدان والعمارات ؛ ثم ان القرآن ينص على ان الارضين سبعة حيث يقول جل شأنه (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن) وقد اختلف الفقهاء والمفسرون فى تعيين الاراضى المشار اليها بالآية الكريمة بين ذاهب الى أنها الاقاليم السبعة وآخر انها طبقات الارض وهى بعضها متصل ببعض لافرجة بينها وقيل سبع بين كل واحدة الى الاخرى مسيرة خمسمائة عام وفى كل ارض منها خلق حتى قيل فى كل واحد منها آدم وحواء ونوح وابراهيم وقد يوجد بعض هذا فى بعض الاخبار ولكن الارجح منه ارادة الطبقات الارضية فقد ذكر علماء طبقات الارض (الجيولوجيا) انها تتكون من طبقة طينية ومعدنية وطـــبقة الادخنة والابخرة وطبقة نارية تنفجر منها البراكين النارية وطبقة الجليد والزمهرير ، ولكن الأصح من هذا كله والاحرى بالإعتبار ماورد فى بعض الاخبار فى تفسير هذه الآية عن الامامين الكاظم والرضا (ع) فان الرضا اجاب من سأله عن ترتيب السموات السبع والأرضين السبع فقال هـذه الارض الدنيا والسماء الدنيا فوقها قبة والارض الثانية السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة الارض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها الى آخر الخبر ، وفى بعضها انه (ع) وضع يده فوق الأخرى تمثيلا .

ومن الادعية الشائعة المعتبرة وذوات الشأن المعروف بدعاء الفرج المستحب فى قنوت النوافل والفرائض (اللهم رب السموات السبع

ورب الارضين السبع ومافيهن وما بينهن ورب العرش العظيم) وفى بعض خطب النهج (الحمد لله الذى لا يوارى عنه سماء سماء ولا ارض ارضا) ويظهر من هذه الفقرات المتعالية ومن الآية الشريفة بل صريحها ان هذه الاراضى السبع منفصل بعضها عن بعض بل يظهر او صريح جملة من اخبار اخرى منها ان فيها خلائق وسكان ويشهد له قوله تعالى (يتنزل الامر بينهن) كما يظهر من جملة اخرى ان الاراضى والكواكب السيارة اكثر من سبع وان عز شانه عوالم سيارات واراضى تتجاوز مئات الالوف كلها موجودة فعلا ولا يحصى عددها إلا الله عز شانه وجلت عظمته .

الامر الرابع فى مبدأ تكوين الارض :

الذى يظهر ان مجموع آثار الشريعة الاسلامية ومن بعض خطب (النهج) ان العالم الجسمانى كله سماواته وارضوه خلقت من زبد البحر وان أول ما خلق الله من الاجسام هو الماء ولعله يشير الى غاز أثيرى شفاف من احد العناصر وانضم اليه عنصر آخر عبرت عنه الشريعة بالدخان والزبد تقريبا للاذهان ؛ ثم خلقت منه الكواكب والارضون خلقا استقلاليا لا اشتقاقيا توليدياً ، نعم يظهر من علماء الغرب ان الارض شعلة انفصلت من الشمس قبل آلاف الملايين ثم بردت وجمدت قشرتها الاولى بحيث صارت صالحة للسكنى والإنتفاع والقمر قطعة من الأرض فالأرض بنت الشمس والقمر ابن الأرض وكل هذا حدس وتخمين وأحلام ولكنها أحلام جميلة .

الأمر الخامس فى نهاية الأرض :

وقد ذكر الكثير من الفلاسفة الأقدمين والمتجددين ان هذه الأرض لابد وان تنتهى الى الفناء والتلاشى ، وذكروا أسبابا متعددة لذلك منها اصطدامها بمذنب يجعلها هباء منثورا كما اصطدمت بمذنب فى طوفان نوح حيث دفعها الى البحار المحيطة ففاضت البحار عليها واغرقتها ويشهد لهذا - أى لتلاشى الارض - كثير من آيات الفرقان المجيد منها قوله (اذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا) ولاشك انها ترتج باصطدامها بقوة هائلة من مذنب أونحوه ، وحينئذ تبس الجبال - اى تتفتت - ثم تطير وتصير هباء فى الفضاء وهكذا الشمس والسماء والنجوم (اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت) وتكويرها انطفاء نورها برودة حرارتها وخمود نارها وهكذا النجوم فسبحان وارث السموات والارضين وما فيها ومن عليها ، وحيث بلغ نبأ الحديث الى نهاية الارض فلينتهى ماأردناه من القول عن الأرض وبعض شؤونها واحوالها .

وقد جرى القلم بما ذكرناه على رسل الذهن وهفو الخاطر ومن المعلوم العتيد والملحوظات القديمة شاكرين حامدين لله فضله علينا بتوفيقه وألطافه وذاكرين بالخير والجميل من حرك قلمنا بعد الهمود وافكارنا بعد الجمود مع شدة المحن وتهاجم الارزاء علينا فجزاهم الله احسن الجزاء . اللهم عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير .

وكان ختام هذه النبذة يوم الرابع من ذى القعدة الحرام ١٣٦٥ فى مدرستنا العلمية فى النجف الاشرف .

كلمة الناشر :

كان سماحة الامام يملي هـــذه التتمة المشتملة على الفوائد أثناء الإشتغال بطبع الشطر الاول من هذه الرسالة وكان قد أرسل منها نسخة بخطه الى الأديب أحمد بدران فكتب ابن بدران بعد وصولها بأيام كتابا هـــذا نصه :

رسالة الاديب أحمد بدران :

البصرة ١٩ - ٩ - ١٩٤٦

سماحة العلامة حجة الإسلام آية الله الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء دام ظله بعد لثم أيديكم وشكر أياديكم الغراء أنى لى ذلك ، أبدى لقد كان لرسالتكم فى (التربة الحسينية) تصفيق استحسان عظيم فى قلوب جماعة العلماء الأعلام الذين سمعوا آياتها البينات وانها وان كانت قطرة من فيض علمكم الزاخر لقد غمرت هـذا الموضوع غمراً بحيث لم يترك ولو بعض فراغ يستطيع من يحاول منهم ولو بمقدار قطرة صغيرة ولو كنت تراهم ذاهلين يصغون باعجاب واكبار واجلال لتلك الدور التى قذف بها غطمط علمكم اللجى ، وقد خلبت لبتهم وبلبلت عقولهم لآمنت ان من البيان السحر ولملاًت منهم عجبا، فان هذه الرسالة قد استوهم بمعانيها العجيبة التى وقف العلم عندها ذاهلا يتملى فى هاتيك الدعائم التى سمت للمجد عليها وعلى الدين الحنيف ، وانى إذ أقدم شكرى لسماحتكم فانما اقدم مالا يفى بل يقصر عن القيام بما ينبغى .

بيان :

ثم لايخفى على كل ذى فطنة عظيم وقع هذه الرسالة ومسيس الحاجة اليها فانها قدسدت ثغرة ورتقت فتقا واسعا فى مذهب الشيعة وردت عنهم سهام مطاعن عن الاغيار المسمومة التى ما زالوا يلهجون بها معلنين بأن الشيعة وثنيون لانهم يسجدون على صنم ، وقدكشفت هذه الرسالة عن حقيقة هذه القضية بحيث لم تدع بعد مجالا لمقال وموضوعا لنضال وهكذا سائر مؤلفات سماحته ادام الله بركات وجوده تأتى على موضع الحاجة وتقع على الجرح فتكون مرهما له مثل (اصل الشيعة) و (تحرير المجلة) (والدين والإسلام) وكلها فرايد مبتكرة لم يتوقف لمثلها فى سد الحاجة واسلوب البيان وسمو المعانى احد من العلماء المتقدمين فضلا عن المتأخرين ، وقد طبقت الخافقين شهرة مآثره وآثاره وخدماته الجليلة المنقطعة النظير للاسلام والمسلمين وسعيه الحثيث المتواصل فى جمع شتات الطوائف الأسلامية وتوحيد كلمتها ولم تبق قارة من القارات إلا وصلتها مؤلفاته وشاع بها ذكره حتى بلغ ذلك الى ما وراء البحار وارتفعت راية مجده وحمده فى امريكا وقد وقفنا على كلمة لاحد ادباء المهجر فى الارجنتين وهو الفاضل اللوذعى الاديب يوسف كمال فى (مجلة الرفيق) احببنا ان نختم هذه الرسالة له بها لتكون كترجمة وجيزة لسماحة الإمام وتقدير الامم البعيدة لمقامه الرفيع والجميع يشكرون (للرفيق) واليك نص مقاله حفظه الله فى عدد جمادى الثانية ١٣٦٥ :

الحجة آل كاشف الغطاء

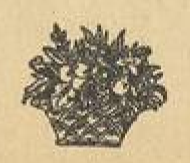
الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (النجف الأشرف)

علم من اعلام الدين وعيلم من عيالمة المسلمين المحققين وحجة من حجج الله فى العالمين ؛ صاحب التآليف العديدة والمصنفات المفيدة مرجع الامة اليوم وقبلة انظار القوم ، اليه يرجع القضاء وعنه تصدر الإفتاء وعلى يده تحل المشكلات وتنتهى المعضلات الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء صاحب كتاب (الدين والإسلام) الشهير المطبوع من خمس وثلاثين سنة الذى بز فيه المؤلفين واحبط اعمال الملحدين وحير عقول الفلاسفة العارفين فسلموا جميعا بدعوته ونجعوا كلهم لكلمته وقد تكلم صدقا ونطق حقا وهو الصادق الناطق بالحق .

الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء صاحب (الميثاق العربى الوطنى) اخيراً الذى هو عبارة عن رسالة دينية سنها رسول امين ووثيقة وطنية عادلة شرعها اكبر المتشرعين الوطنيين جامعا لشروط الدنيا واحكامها ولاحكام الآخرة وشروطها اللازمة للناس ؛ فهو خير رسالة لعصرنا الحاضر ولعصر غيرنا المقبل . بل لكل جيل وقبيل وها نحن ناقلون هذه (المواثيق) تبعا فى الرفيق الذى يفخر بكلمة الحجة وحكمه فى كل عدد من الاعداد اللاحقة ننشر فصلا منها ان شاء الله .

ننشرها ونحن واثقون من رضى القراء ورغبتهم فى الاطلاع عليها

لما تحويه من الفوائد وطويت عليه من الفرائد المفيدة لهم ولذريتهم الطيبة من بعدهم فهى خير درس يتعلمونه وخير عظة يتلقونها هم وابنائهم على السواء كيف لا وواضعها وناظم عقدها وناسخ بردها علامة العصر ومفخرة هـــذا الدهر الحجة آل كاشف الغطاء الذى ائتم به المسلمون جميعا ابان انعقاد المؤتمر الإسلامى فى القدس الشريف لسنين خلت وكلهم من سراة الدين ودعاة الدين الحنيف وسراته مقدميه عليهم لاهليته وسمو مكانته العلمية فصلى بهم جماعة وخطب بهم وبالجماهير التى احتشدت فى بيت المقدس الطاهر من بلاد بعيدة وهى الوف ، تلك الخطبة الشهيرة التى تناقلها الناس وتناقلتها صحف البلاد ، كلها استغرقت معه ساعات اخذت بمجامع القلوب ، واليوم مع انه مرجع كبير للفتاوى والقضايا العلمية والدينية فهو ما انفك يؤلف ويؤلف ويهتم ويدعو لكل مسألة من المسائل الوطنية وما تحتاجه الامة والبلاد ؛ اما سهره على مكتبة آل كاشف الغطاء التى يحاجها كل طالب فى النجف ، واهتمامه بطلبة العلم وتسهيل مهمتهم ومساعدتهم قل ان سبقه او باراه فى هذا المضمار أحد ، ناهيك عن المدرسة التى أسسها لطلبة العلوم من مختلف الجهات والاقطار العربية ومنهم الكثير الوافر يتعهدهم الحجة مقدما كل ما يلزم لهم من مؤنة وملبوس وما يحتاجونه من وسائل الراحة والرفاه .



منشورات المطبعة الحيدرية فى النجف

فلس	العنوان: نجف المكتبة الحيدرية
١٢٥٠	مناقب آل ابى طالب ٣ ج
٤٠٠	تاريخ الكوفة
٢٠٠	قضاء امير المؤمنين
٢٠٠	سليم بن قيس
٢٥٠	الالفين للعلامة
٥٠٠	الفصول المهمة للحر العاملى
٤٠٠	قصص الانبياء للجزائرى
٢٠٠	اثبات الوصية
٢٠٠	مشكاة الأنوار
٣٥٠	شجرة طوبى ج ٢
٣٥٠	الكوكب الذرى »
١٠٠	الافصاح فى الامامة للمفيد
٢٠٠	الجمل فى حرب البصرة »
٢٠٠	الفصول المختارة »
٨٠	الفصول العشرة »
٢٠٠	الامالى »
١٠٠٠	الكنى والالقاب ٣ ج
٢٠٠	الكشكول فيما جرى على آل الرسول
٨٠	بلاغة على بن الحسين

فلس	(محمد كاظم الكتبى)
٢٠٠	ابو هريرة
٢٠٠	الخصائص الحسينية
٢٥٠	تظلم الزهراء
٣٥٠	المنتخب للطريحى
٣٥٠	الفوادح الحسينية
١٠٠	توحيد المفضل
٤٠٠	الاحتجاج للطبرسى
١٥٠	قصص القرآن
٢٠٠	بشرى المذنبين
١٠٠	القبائل العراقية
٤٠٠	حق اليقين ج ٢
١٥٠	كشف المحجة للسيد بن طاوس
١٥٠	اليقين فى الإمرة »
٢٠٠	سعد السعود »
١٠٠	فرحة الغرى »
٨٠	الطرف »
١٥٠	فرج المهموم »
٨٠	عين العبرة »
١٥٠	الأمان »
١٥٠	مختصر بصائر الدرجات

١٥٠ المحتضر

٢٥٠ بشارة المصطفى

٢٠٠ بشارة الإسلام

٢٠٠ دلائل الامامة

١٥٠ زيد الشهيد

١٥٠ الشهيد مسلم

١٥٠ قمر بنى هاشم

١٥٠ لواعج الاشجان

٣٠٠ مثير الاحزان

٨٠ مقتل ابى مخنف

٢٥٠ ارشاد القلوب ج ٢

٨٠ عيون المعجزات

١٥٠ زينب الكبرى

١٠٠ وفاة زينب

١٠٠ جامع الاخبار

١٠٠ السقيفة

٨٠ عقائد الشيعة

٥٠ كيف تصوم للأديب

٤٠ مجمل عقائد الشيعة

١٠٠ كيف تحج

٣٠ كيف تصلى

٥٠ المنتخبات من القصص

٥٠ الشيعة والامامة

١٥٠ قرب الاسناد

١٠٠ فدك للصدر

٣٠٠ الامام الصادق ج ٢

١٠٠ اصل الشيعة كاشف الغطاء

٥٠ التربة الحسينية »

٢ الفردوس الاعلى »

٨٠ المثل العليا »

٦٠ المحاورة »

٥٠ السياسة الحسينية »

١٠٠ البلدان لليعقوبى

عمدة الطالب تحت الطبع

١٥٠ المبسوط فى الأمامة

٢٠٠ المنح الالهية

٢٥٠ مولد النبى

١٠٠ مولد الامير

٥٠ مقتل اولاد مسلم

٢٠٠ اعمال شهر رمضان

الجمرات الودية

٥٠ يوم الاربعين

١٠٠ الادب الجديد

١٥٠ تنزيه الانبياء

